القراءةُ المعرفيّة للإعجازِ القرآنيِّ
تحليلٌ في الوعي المنهجيّ للسّيد محمد مهدي الخِرسان

د. عمّار عبد الرزّاق الصغير
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام / النجف الأشرف

Cognitive reading of the Quranic miracle
An analysis of the methodological awareness of
seyad Muhammad Mahdi Al-Khurasan

Dr. Ammar Abdul Razzaq Al-Saghir
Imam Jafar Al-Sadiq University / Al-Najaf Al-Ashraf
Email: Ammaralsagheer1@gmail.com

ملخص البحث

تأتي هذه الدراسة لإيضاح الخلفيات المعرفية والمنهجية التي يتحرك في ضوئها السيد محمد مهدي الخِرسان في فهم حركة التاريخ، واستخلاص الحقائق العلمية منه.

والإعجاز أحد أبرز الموضوعات التي تثبت إلهية الدعوة الإسلامية، فهو من الثوابت الإجرائية في حركة الأنبياءﷺ ، يؤكده الخِرسان بمنهجية واعية، ويعالج بعض الآراء المنكرة لوقوعه.

بحث الإعجاز الذي يتبناه الخِرسان في كتابه (مزيل اللبس في مسألتي شقّ القمر وردّ الشمس)، هو تحليل معرفي في عمق البعد الروائي، يبيّن -دلاليًا- تكوين الحدث الإعجازي على يد من له صلاحية التصرف بعلل الكون ، فشق القمر ورد الشمس آيتان من جنس واحد هو خرق قوانين الطبيعة بفعل مؤثر.

ومن جهة أخرى فهو يكشف عن خصائص قارّة في ذات محدِث الإعجاز، كاشفةٍ عن إمكانات التصرف في علل الكون؛ إذ إنّها تتصرف في عالم الطبيعة بكيفية يعجز البشر عن الإتيان بمثل آثارها ، فيعرض النبيﷺ والوصيﷺ على أنّهما يتميزان بهذه الحقيقة التي تبرهن على أنّهما المصطفين للتمثيل الإلهي.

ووفقًا لذلك سيتناول هذا البحث أبرز الموضوعات المطروحة بالتحليل والموازنة، كاشفًا عن علاقتها بالمشهور في هذا الموضوع، وموضحًا المنهج الاستدلالي الذي يتبعه السيد الخِرسان في إثبات موضوعات كتابه، والأسلوب الحجاجي في محاكمة المنكرين، وخلفياتهم الفكرية المانعة من التصديق والإيمان، وهو بذلك يستعمل قوانين منطقية، وحُججًا برهانية عليها التسالم في صحة الاحتجاج بها.

كما يكشف هذا البحث عن الآلية المنهجية في تقريره للمطالب، وأبرز الخطوات التي يعتمدها في تحرير الشبهة موضوعيًا وتاريخيًا .

وتبرز ملامح المنهجية المعرفية للسيد الخِرسان في تناوله للإعجاز ضمن مناحٍ مبثوثة

في بحثه، مثل: الاستدلال بآراء الخصوم لتوكيد الدليل ، والاستقراء الموسع للآراء النافية، والمثبتة ، والإحاطة بما يستوعب التصورات الممكنة التي تسهم في تقبّل وتعقّل الموضوع ، والإفادة من العلوم الحديثة وتقنيات العلم الحديث ؛ لغرض الوصول إلى الإمكان العلمي لشقّ القمر، ووقوع الإعجاز.

هاهنا بالذات برع الخِرسان في منهجيته الاستقرائية والاستيعابية ، وإقامة الحجج والبراهين بتأطير إثبات موضوعه من جهاته الممكنة؛ لرد شبهة عدم وجود خرق للعادة الذي ادعاه بعضهم.

بحثُ السيد محمد مهدي الخِرسان حوارًا يفكّك فيه العقل والنظر متن النص والأثر، ثم يعيد تركيبه صعودًا نحو استيحاء المضمون، واستنطاق الدلالة واستظهار ما في النقل من إثبات.

والحمد لله رب العالمين...

الكلمات المفتاحية: المعجزة، الكرامة، العادة، الخرق، شق القمر، رد الشمس.

Abstract

This study comes to clarify the cognitive and methodological backgrounds in the light of which Mr. Muhammad Mahdi Al-Khurasan moves in understanding the movement of history, and extracting scientific facts from it.

The miracle is one of the most prominent topics that prove the divinity of the Islamic call. It is one of the procedural constants in the movement of the prophets. Al-Khurasan confirms it with a conscious methodology, and addresses some of the opinions that deny its occurrence.

The study of the miraculous that Al-Khurasan adopts in his book (The Remover of Confusion in the Issues of the Splitting of the Moon and the Return of the Sun) is a cognitive analysis in the depth of the narrative dimension, which shows - semantically - the formation of the miraculous event at the hands of those who have the authority to act on the ills of the universe; The splitting of the moon and the restoration of the sun are two verses of the same type, which means violating the laws of nature by an effective act.

On the other hand, it reveals the characteristics of the One who creates the miracle, revealing the possibilities of acting on the ills of the universe. It acts in the natural world in a way that humans cannot produce the same effects. The Prophet and the Guardian are presented as having this fact, which proves that they are the most competent in divine representation.

Accordingly, this research will address the most prominent topics raised with analysis and balance, revealing their relationship to what is known about this topic, and explaining the deductive method that Mr. Al-Khurasan follows in proving the topics of his book, and the argumentative

method in trying deniers and their intellectual backgrounds that prevent belief and belief, and in doing so he uses logical laws and arguments. Proof that must be accepted as to the validity of its invocation.

This research also reveals the methodological mechanism in his determination of the demands, and the most prominent steps he adopts in removing suspicion objectively and historically.

The features of Mr. Al-Khurasan's cognitive methodology emerge in his approach to the miraculous within aspects spread throughout his research, such as: inferring the opinions of opponents to confirm the evidence; Extensive extrapolation of negative and confirmed opinions. And being aware of the possible perceptions that contribute to acceptance and reasoning of the subject; And benefiting from modern science and modern science techniques for the purpose of reaching the scientific possibility of splitting the moon and the occurrence of the miracle.

Here in particular, Al-Khurasan excelled in his inductive and assimilative methodology and establishing arguments and proofs by framing the proof of his topic from its possible aspects. To refute the suspicion that there was no breach of custom that some of them claimed.

The research of Mr. Muhammad Mahdi Al-Khurasan is a dialogue in which reason and consideration dismantle the body of the text and the effect, then reconstruct it upwards towards discovering the content, interrogating the significance, and demonstrating the proof in the transmission.

and thank Allah the god of everything...

Keywords: miracle, dignity, custom, breach, splitting the moon, returning the sun.

المبحث الأول

الموقف من وقوع الإعجاز عند السيد الخرسان

توطئة

تتمظهر المنهجية المعرفية في التحقيق عند السيد محمد مهدي الخِرسان بتأسيس المعياريات ، واعتمادها في المناقشة العلمية، فمن معجزة شق القمر ، ومن خاصية إمكان التحكم بالكون من قبل الأنبياء – يثبت رد الشمس للإمام علي عليه السلام. إذ إنّ ماهية الحدث هي هي بخصائصها وآلياتها، لكن الحدث غير مقترن بالتحدي، ذلك المائز الذي يفصل طبيعة الموضوع بين الأنبياء ، والأولياء عند المتلقين مع اتحاد غرضه في الهداية والإقناع.

وتعدّ هذه المنهجية من أفضل طرق الاستدلال وأحكمها صحة ، فإنّ إنكار ما هو مختلف فيه مع ثباته إنكارٌ للثابت الديني في حركة الأنبياء عليهم السلام.

في التمهيد يستهلّ السيد الخِرسان بمجموعة من النصوص القرآنية، هي عشرون آية حول ورود الشمس والقمر مجتمعين أو منفردين ؛ ليؤسّسَ إلى حقيقة مفادها أنّ هذه الموجودات يتغير مجراها ومدارها، ثم يشفع ذلك بنصوص عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، مثل محاججة إبراهيم عليه السلام في الإتيان بالشمس من المغرب [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨]، منتهيًا إلى أنّ هذه المخلوقات تخضع لقدرة الله في خرق القوانين الطبيعية ؛ لحكمة إلهية اقتضاها في خدمة المعجزة والكرامة ، تمهيدًا لتتحقق الإقناع والهداية.

ذلك أنّ شقّ القمر وردّ الشمس آيتان من جنس واحد، وهو الإعجاز بفعل مؤثر يخرق قوانين الطبيعة، وإن لم يكن الأثر المنقول عنهما معًا إلّا في شقّ القمر، لكنّ التحدي ليس شرطًا إجماعيًّا.

ثمّ إنّ الخلاف في ثبوت جنسية الحادثتين –رغم قدمه– مُشبَع بالبعد السياسي العقدي، ولعلّ إنكار حادثة ردّ الشمس حدا ببعضهم إلى التشكيك حتى في حادثة شقّ القمر! ، وباعث ذلك قوة التماثل بين الأمرين، فالإيمان بأحدهم ملزم للإيمان بالآخر.

وفي البحث ناقش السيد الخِرسان دعوتيّن من جنس واحد حول عدم وجود إعجاز وخرق للعادة على يد رسول الله ﷺ، وإنّما الإعجاز تلخّص بالقرآن فقط ، فلا تحدٍّ ولا خرقٍ، ولا أحداث وقعت، وإنّما هي من نسج المؤرخين ، أو توهم أصحاب السير؛ ذلك أنّ النبي ﷺ خاطب العقول وأراد إقناعها بما تفهم ، وأنّ المعجزة هي أمر خارج عن حدود الفهم البشري.

هذه الشبهة قد تبنّاها المعتزلة مثل الجاحظ (ت٢٥٥هـ) والنظّام، ومن العقلانية الحادثة مدرسة التفسير الإصلاحية على يد الأفغاني ، وعبده ، ومحمد رشيد رضا ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمد الغزالي، وغيرهم ممّن تأثر ببعض دعاوى المستشرقين كما يعرضها السيد الخِرسان، مثل: غوستاف لوبون، وجولدسهير، ولامانس، فقد ناقش الكتّاب العرب إمكان أنْ تكون بعض الأحداث وقعت على نحو المعجزة، مُؤوّليها بالأسباب العلمية ، والفلسفية وملحقيها بالأساطير.

ويُرجع الخِرسان ذلك إلى ضعف إيمانهم بالدين -على الرغم من تواتر هذه الأخبار بوقوعها على نحو معجز بالنسبة لعصرهم وغيره ، أو لتأثرهم بالاتجاهين: الحسي والتجريبي المادي، مما يهدم ركنًا أساسيًا من النبوة.

وفي طيات بحثه ناقش التعريف اللغوي والمنحى الكلامي للإعجاز، وهذّب بعض شروطه وقيوده، وعرض لمفهوم العادة بمنهجية يحسبها هذا البحث أنّها دقيقة ويعدّها طرحًا جديدًا ؛ بصفتها القيد الأكبر الذي على مداره يتحدد تقبّل الناس وإنكارهم، وعن طريقها يتم تحديد جهة المعجز أنّه لا يقع على المستحيل عقلًا ، وبذلك صار يؤسس إلى أصل وقوع الإعجاز، وإمكان حدوثه باستبعاد الاستحالة العقلية، والتأكيد على استحالة العادة ؛ لأنّ البشر قد اعتاد على علة واحدة لحدوث شيء معين ، أو نفيه ، أو تغييره.

وبعد هذا التأسيس ينتقل إلى طبيعة الخرق الذي يريده الإعجاز بقراءة علمية ومعرفية وفلسفية، مبيّنًا أنّه يقع بأدوات الشفاعة، والدعاء، والأمر التكويني بوساطة التحكم بعلل الكون.

وحتى لا يحصل خلط بينه وبين أي وجه من وجوه الخروج عن المألوف ، انتقل إلى موضوع الكرامة والسحر، وفرقهما عن الإعجاز من جهة عامل التحدي فيه وانتفائه عنهما.

الخِرسان الذي تميز باستقراء دقيق، لم يترك مفهوم الإعجاز بلا تطبيق، فقد انتخب معجزة شق القمر ليطبّق تنظيره عليها وبوساطتها ينتقل إلى إمكان رد الشمس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي معجزة شقّ القمر -كغيرها من الحقائق الإسلامية- خلاف في إمكان وقوعها، فذهب بعض شيوخ المعتزلة إلى أنّها لم تقع ، وأنّ النص يشير إلى وقوعها يوم القيامة، أي أنّ القمر سينشقّ ولم ينشقّ فعلًا، ومنهم من عدّها من دَسّ القصّاصين حتى يراعوا فيها مشاعر المسلمين بوجود معاجز لنبيهم كسائر الانبياء عليهم السلام !

هاهنا تحديدًا برع الخِرسان في منهجيته الاستقرائية والاستيعابية، وإقامة الحجج والبراهين بتأطير إثبات موضوعه من جهاته الممكنة؛ وذلك لرد شبهة عدم وجود خرق للعادة الذي ادّعاه بعضهم، فعرض أدلةً للمفسرين ، والمتكلمين والمؤرخين ، والمحدّثين وتقنيات العلم الحديث، ثم انفرد باستدلال قرآني أقامه العلامة الطباطبائي.

سيتناول البحث في المبحث الأول : المنهجية المتبعة من قبل السيد محمد مهدي الخِرسان في بحثه وتحقيقه، ثم يعرض رؤية جهتين في الفكر الإسلامي حول أصل وقوع الإعجاز وإمكان الخرق.

الأول: المنهجية المعرفية للسيد الخرسان في بحث الاعجاز:

يمكن أن تبرز ملامح المنهجية المعرفية للسيد الخِرسان في تناوله للإعجاز ضمن مناحٍ مبثوثة في بحثه، حاولنا جمعها بحدود الموضوع فكانت كالآتي:

أولًا : أدب المناقشة :

أورد الخِرسان في باب الكرامة كلامًا للجاحظ في نفي وقوع المعجزات ، قدّم له بمقدمة منطقية يمكن الانتفاع منها هنا، فيها من أدب الحوار، وخُلق المنهج في محاكمة آراء الآخرين، مشيرًا إلى أنّ وجود شبهة في الذهن تحول دون سريان الحقيقة وتؤثر في القناعات، قال فيها: ((إنّ اختلاف الرؤى إنّما يحدث نتيجة القناعة الشخصية، وربما خضعت لبعض المؤثرات الخارجية، كما لو كان الإنسان واقعًا تحت طائلة الرواسب من طائفية أو بيئية وغير ذلك، وكان منساقًا مع هواه، فلا مانع من تنبيهه إلى خطأ ما هو واقع فيه بالتي هي أحسن، فإن ارعوى فاهتدى فذلك، وإن أصرّ معاندًا ومستكبرًا فالإعراض عنه أولى وأجدى))[1].

﴿فَمَنْ يُرِدِ اَللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمٰا يَصَّعَّدُ فِي اَلسَّمٰاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اَللهُ اَلرِّجْسَ عَلَى اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقد أورد كلامًا للجاحظ في اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب، وكأنّه يزيد منه بيان طبيعة التلقي في فهم المعجزة، حتى ما لاحظ القارئ أنّ إنكار المعجزات عائد إلى خلل واقع في أنفسهم في فهم ما هو جديد وخارج عن المعتاد ، قال الجاحظ: ((وأكثر الناس لا تجدهم إلّا في حالتين، إمّا في حال إعراض عن التبيّن وإهمال للنفس، وإمّا في حال تكذيب وإنكار وتسرّع إلى أصحاب الاعتبار وتتبع الغرائب، والرغبة في الفوائد.

ثم يرى بعضهم أنّ له بذلك التكذيب فضيلة، وأنّ ذلك باب من التوقّي، وجنس من استعظام الكذب، وأنّه لم يكن كذلك إلّا من حاقّ الرغبة في الصدق، وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول، والحق الذي أمر الله تعالى به ورغّب فيه وحثَّ عليه: أن ننكر من الخبر ضربين: أحدهما ما تناقض واستحال، والآخر ما امتنع في الطبيعة وخرج من طاقة الخلقة.

(١) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، الخِرسان، محمد مهدي ، ٦٦.
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥.

فإذا خرج الخبر من هذين البابين وجرى عليه حكم الجواز، فالتدبّر في ذلك التثبت، وأن يكون الحق في ذلك هو ضالتك، والصدق هو بغيتك، كائنًا ما كان، وقع منك بالموافقة، أم وقع منك بالمكروه)) [1].

والسيد بهذا الأدب في منهجية الحوار يعامل الجاحظ المنكر للخارق ، معاملةً بالتي هي أحسن من دون تهجّم أو تعدّي.

وما يلاحظ أنّ الجاحظ في إنكاره الخارق يضع ضابطة للإنكار والقبول، ويحاصر نفسه في نطاق الآتي:

إمّا إنكار لمتناقض ، أو استحالة الوقوع.

أو إنكار لامتناع الوقوع في الطبيعة.

التدبّر والتثبّت من النقل حتى إن لم يوافق النفس.

والأول إذا كان مستحيلًا عقلًا فصدق، والثاني موقع في الدور؛ لأنّ الإعجاز هو خروج عن قدرة وطاقة الوقوع المعتاد، وإلّا كيف يثبت عجز الآخرين ليدل على الإعجاز أو الكرامة؟! ، فالتصديق بالإعجاز متوقف على قبول مفهومه أنّه خارق للعادة.

ثانيًا: الاستدلال بآراء الخصوم لتوكيد الدليل، وهو أسلوب دأب عليه لأجل إلزام الآخرين بمعتقداتهم، فيستدل ويُعضّد رأيه بما عندهم، وقد وردت هذه المنهجية في معظم استدلالاته.

ثالثا: الاستقراء الموسّع: عقد الفصل الثالث حول إمكان خرق النواميس، ومهد فيه باستقراء موسع وإحاطة يستوعب التصورات الممكنة التي تسهم في تقبّل وتعقّل الموضوع، فأسس ستة إثباتات تعزّز إمكان ردّ الشمس، وبعد كل خطة يُقيم الاستدلال على الاستقراء[2].

كما أقام سبعة خطوات تمهيدية قبل الشروع بالمبحث الأول، هي: ((أدلة قرآنية، والنبي الأكرم وقرآنه المجيد بين ملحد وموحد، والمعجزة الخالدة هي الحجة الشاهدة،

(١) كتاب الحيوان ، ٣ / ٢٣٨.

(٢) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، الخِرسان، محمد مهدي ، ٨٨

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، والعلم يدعو إلى الإيمان، وخطرفة القمر دون اختلال في الفلك، ورؤية رتن لانشقاق القمر في الهند)) [1].

ومتابعة لمنهجيته الاستيعابية، أقام -في الباب الثاني: في إثبات معجزة شق القمر- منهجه بعرض آراء المفسرين والمحدثين ، والمتكلمين والمؤرخين ثم العلم الحديث، وهذه المنهجية الاستيعابية التي تؤطر الموضوع منهجيًا من جوانبه الممكنة من الحجج الإثباتية للإعجاز.

رابعًا: الإفادة من العلوم الحديثة وتقنيات العلم الحديث

وجرياً على ذلك أفاد السيد الخِرسان من العلوم الحديثة لغرض الوصول إلى الإمكان العلمي لشق القمر، ففي ص ١٢٣ عقد عنوانًا بـ(العلم يدعو إلى الإيمان) ، وعنوان المطلب هو عنوان لاسم كتاب صدر في مصر أيام الغزو الإلحادي، وأفاد من التقدم العلمي في الاكتشافات الحديثة على إمكان وقوع معجزة شق القمر، كما عزز ذلك بتقارير من وكالة ناسا الفضائية ، ووثائق مصورة في آثار الشق على سطح القمر من ص ١٩٤ وما بعدها.

خامسا: الإثبات بالتاريخ المشهور:

استدل في ص١٣٠ بكلام للمعمر رتن الهندي الذي شاهد حادثة انشقاق القمر إلى نصفين متباعدين، ويستدل بالحداثة نقلًا عن الإصابة لابن حجر، لكنه هنا يتوسع لكن بحيطة ودقة علمية.

سادسًا: الاستعانة بالآثار والمخطوطات القديمة :

قال: ((وفي إحدى المخطوطات الهندية القديمة، والمحفوظة في مكتبة المركز الهندي بمدينة لندن تحت رقم ٢٨٠٧/ ١٥٢-١٧٣، ذكر المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور محمد حميد الله في كتابه المعنون : محمد رسول الله أنّ أحد ملوك ماليبار -وهي إحدى مقاطعات جنوب غربي الهند- وكان اسمه شاكرواتي فارماس (Chakarawati Farmas) شاهد انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ وأخذ يحدّث الناس بذلك)) [2].

(١) م. ن ، ١٠٥

(٢) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٣٤.

سابعًا: محاكمة التاريخ بالأسس الثابتة للإعجاز :

فيوجه المعجزة بين معيار الإعجاز والتاريخ، وهي حركة واعية تحمل تفرّدًا وفرادةً في منهجيتها، ففي أثناء رده على شبهة بعض المفسرين في تفسير الآية بأنّ المراد: سينشق ؛ لأنّ الانشقاق حدث هائل، فلو وقع لعتم وجه الأرض، فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر ، قال: إنّ النبي محمدًا ﷺ ((لمّا كان يتحدى بالقرآن، وكانوا يقولون: إنّا نأتي بأفصح ما يكون من الكلام، وعجزوا عنه، فكان القرآن معجزة باقية إلى قيام القيامة لا يتمسك بمعجزة أخرى، فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر.

وأمّا المؤرّخون فتركوه؛ لأنّ التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجّم، وهو لـمّا وقع الأمر قالوا بأنّه مثل خسوف القمر، وظهور شيء في الجو على شكل نصف القمر في موضع آخر، فتركوا حكايته في تواريخهم))[1]، فبوساطة معيار التحدي في الإعجاز أثبت وقوع الحادثة ؛ لأنّ التحدي مستمر إلى الآن ، وما فيه أيضًا ثابت وصادق في دعواه من وقوع شقّ القمر كحادثة وقعت في الماضي.

ثامنًا: التأطير العلمي المنهجي :

ورد في منهجيته في مناقشة أدلة إثبات شق القمر مسائل ثلاثة منهجية قدمها قبل أدلة الإثبات، محددًا بوساطتها مدار البحث ووجهته: ففي الأولى يحدد الطرف المنكر، إذا كان غير مؤمن فيخرجه من المناقشة، وإذا كان مؤمنًا فيناقشه بالأدلة العلمية ، وأمّا المسألة الثانية فيقررها بنوع الحادثة ، وهي مما يثبت بالنقل ، والمسألة الثالثة: أنّ سورة القمر مكية وأنّ السياق الواردة فيه لا يحتمل عدم وقوعها في الدنيا ((لأنّ التعقيب عليه بقوله تعالى: ﴿وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ، شاهد على إعراضهم عند رؤيتهم تلك الآية العظيمة فقالوا: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ، وهذا القول لا معنى له في الآخرة، إذ ليس في ذلك اليوم من يطلب منهم التصديق حتى يقولوا إنّه: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ فيوم القيامة يوم جزاء ولا عمل، وهذا كافٍ في الدلالة على الوقوع في الدنيا))[2].

(١) م. ن ، ١٥١.

(٢) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس، ١٤٧.

الثاني: رأي المعتزلة :

ناقش السيد الخرسان بأنّ المعتزلة ترى أنّ النبيﷺ لم ينشر دعوته بالمعجزات وخرق العادات ، إذ علل بعض شيوخ المعتزلة -أمثال الجاحظ والنظّام- بأنّ التحدي واقع فقط على الاتيان بسورة من القرآن وليس مطلق التحدي؛ ذلك أنّ التحدي لو وقع على عموم الإعجاز لوجب أن يؤتي ثماره بإيمان من تحدّاهم لا سيّما إذا كانوا هم من طلبوا المعجزة، وهذا ما وقع خلافه، فالأسراء والمعراج أنتجتا تراجعًا عن الإيمان بالنبيﷺ [1].

وقد أبدى السيد الخِرسان اعتراضًا علمياً دقيقًا على هذا البرهان من قبل المعتزلة - أقامه في الردّين الآتيين:

أولهما: الرد النقضي: بأنّ الوليد بن المغيرة من زعماء المشركين كان يسمع آيات القرآن ثم يولي مستكبراً [2] ، فلو لزم وجود القرآن وجوب الإيمان به لنفع الوليد، فهذا القرآن معجزة متحققة لكنه لم يؤتِ ثماره في إيمان الوليد، فلا إلزام بأنّ المعجزة لا بد أن تنتج إيمانًا حتى تكون معجزة.

ثانيهما: الرد الحَلّي: وجود معجزات ليس من جنس القرآن ، وأحدثت إيمانًا وإقناعًا بالرسالة، مثل: أكل الأرضة لصحيفة مقاطعة شعب أبي طالب عليه السلام إلّا موضع (بسم الله).

وقد أظهر القرآن الكريم بطلان هذا الادعاء وكذّب متبّنيه ، حينما أرجع السبب إلى عناد المتلقّين وسخريتهم كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ اَلْأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ اَلْأَنْهَارَ خِلاٰلَهَا تَفْجِيراً ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ اَلسَّمٰاءَ كَمٰا زَعَمْتَ عَلَيْنٰا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّٰهِ وَ اَلْمَلاٰئِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقىٰ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنٰا كِتٰاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحٰانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاّٰ بَشَراً رَسُولاً ﴾[3] ، فلو كانت المعجزة توجب الإيمان قطعًا لأجابهم، لكن الله يعلم بكذبهم فردّ بقوله: ﴿وَ لَوْ فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بٰاباً مِنَ اَلسَّمٰاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقٰالُوا إِنَّمٰا

(١) ظ: المصدر نفسه ، ٢٢- ٢٣.
(٢) م. ن: ٢٣.
(٣) سورة الإسراء ، الآيات : ٩٠-٩٣

سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[1] [2].

وبناءً عليه فلا يمكن حينئذ للمعتزلة تخصيص وقوع الإعجاز إلّا بمعجزة القرآن بدعوى أنّ المعجزات الأُخر لا تُحدث إيمانًا ، ناهيك عن أنّ القرآن نفسه لم يُحدِث إيمانًا لكل مستمع ومتلقٍّ، فلعلها تقع من القرآن ولا تحدث أثرًا، أو تقع من غير القرآن وتحدث أثرًا، وذلك من قبيل صحيفة المقاطعة أو شق القمر إذ آمن بها بعضهم.

الثالث: العقلانية الجديدة :

حاول بعض الباحثين المعاصرين مثل محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد)، ومحمد الغزالي في (فقه السيرة) ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، وغيرهم – اختصار سيرة النبيﷺ بمآثر الجنبة البشرية – ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ –؛ ليصفوه بالقائد والعبقري، كمقدمة تنفي قدرة التصرف بالكون من قبله لإقامة المعجزة ذاتيًا بشفاعة الله وقدرته، متأثرين ببعض دعاوى المستشرقين –التي تعرّض لها السيد الخِرسان–، مثل: غوستاف لوبون، وجولدسهير، ولامانس، فقد ناقش الكتّاب العرب إمكان أن تكون بعض الأحداث وقعت على نحو المعجزة مُؤوّليها بالأسباب العلمية والفلسفية وملحقيها بالأساطير.

وقد أرجع الخِرسان ذلك إلى ضعف إيمانهم بالدين على الرغم من تواتر هذه الأخبار بوقوعها على نحو معجز الإتيان بالنسبة لعصرهم وغيره، أو لتأثرهم بالاتجاهين: الحسّي والتجريبي المادي بما يهدم ركنًا أساسيًا من النبوة [3].

وقد أورد هيكل شبهة مفادها أنّه : ((لم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة على اختلاف عصورهم برسالة محمد إلّا القرآن الكريم)) [4]، وهذا ثابت؛ لأنّ جميع المعاجز الأخرى وقتيّة إلّا القرآن الكريم فهو معجزة دائمية ، غير أنّه لا يستلزم انتفاء جميع المعاجز سوى القرآن، ولو لزم ذلك للزم خلود المعاجز الأساسية للأنبياءﷺ، وإنّما

(١) سورة الحجر، الآيات : ١٤-١٥.
(٢) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٢٣.
(٣) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٢٤-٢٥
(٤) حياة محمد ، ٥٤

دور المعجزة المؤقتة إحداث تأثير فوري للهداية ، يسهم في تكوين قاعدة إيمانية وجماهيرية لها الأثر في هداية البشرية في الأزمنة المتقدمة، ولا ضرورة لانحسار المعجزات بالعقلية ، وإنّما التنوع يلائم الأغراض.

أمّا قول هيكل في ص ٥٦ : ((وإنّ كتب السيرة جميعًا لتذكر أنّ طائفة من الذين آمنوا برسالة محمد قبل الإسراء، قد ارتدّت عن إيمانها حين ذكر النبي أنّ الله أسرى به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى))[١]، فهو مردود، وإنّما المنافقون هذا حالهم من التردد، والتاريخ يثبت أنّ خلقًا كثيرًا آمنوا بعد الإسراء وبسببه.

وأمّا دعوى الغزالي في كتابه (النبي وخوارق العادات) ، فقد تلخصت بأنّ حياة النبي لم تخرج على قوانين الكون المعتادة وأنّ المعجزة: وهي خارق للعادة مقرون بالتحدي ، ولم يعرف هذا التحدي إلّا بالقرآن [٢]، معللاً بأنّ القيمة الذاتية للخوارق الأخرى لا ترتقي إلى مرتبة الأهداف الرفيعة للإسلام ، ولا صلة للعقيدة ولا للعمل بمبحث المعجزات الأخرى ؛ لأنّها ترجع إلى التقدير العلمي[٣]، فهو يرى أنها لا تخلق الإيمان والهداية ولا تؤثر في النفس، متغافلًا عن أثرها في ترسيم إمكانات النبيﷺ ، وصفاته ،وأسباب جريان المعجزة على يديه.

على حين يرى محمد جميل في كتابه (فلسفة تاريخ محمد) : أنّ تلك الخوارق هي أخبار دسّها الفرس في تاريخ المسلمين أسوة بالأنبياء السابقينعليهم السلام ، حتى لا تبقى سيرة النبي بلا خوارق، وذلك لتأثرهم بنبيهم زرادشت [٤].

ومن جهته قال الشيخ محمد عبده في كتابه (الإسلام والنصرانية) عن رسول الله محمدﷺ: "كان لا يعتمد على شيء في دعوته إلى الإيمان بالله ووحدانيته سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخلاف العادة، ولا يغشي

(١) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٢٨.
(٢) فقه السيرة ، ٣٤ ، ومزيل اللبس ، ٣٠.
(٣)ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٣١
(٤) ظ: م . ن ، ٣١-٣٢

بصرك بأطوار غير معتادة".

وجرى محمد رشيد رضا في كتاب (الوحي) مجرى أُستاذه الشيخ محمد عبده إذ قال: "إنّ محمدًا لم يدعُ أحدًا من الناس، ولا أمة من الأمم، إلى الإيمان برسالته، بأن قدّم بين يدي دعواه خارقًا من خوارق الأفعال، مثل قلب عين من الأعيان إلى عين أُخرى..".

وقد عالج الخِرسان تلك الشبه بالقرآن والسنة، مستدلًا بالنصّ الكريم المتقدم مع المعتزلة من سورة الإسراء (٩٠-٩٣)، وبقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ومن السنة استدل بالحديث الشريف: ((ما من الأنبياء نبي إلّا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أُوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثر تبعًا))[2].

وفي غفلة هائلة من هؤلاء ، أو تغافل وتَناسٍ أنّ القرآن الكريم لم يعتمد أو يلجأ إلى المعجزة إلّا بعد أن يستوفي طرق الإقناع ، ويتابع حجج المنكرين لدعوته في إقامة معجزات حسية كما كان يقيمها الأنبياء السابقون ﷺ، ولا يقيمها ابتداء، ناهيك عن أنّ تنوع جنس المعجزة بين حسية وعقلية دائمية ومؤقتة ؛ ليتناسب وطبيعة التقدم العقلي ، واستجابة لمقتضيات الدعوى، فعقول المتلقين ومستوياتهم متنوعة راعى فيها صاحب الدعوى ما يناسب كُلًّا بحسبه ، نعم هذا الإشكال يمكن تعقّله لو انحسرت المعجزات بالحسية المؤقتة، لكن مع وجود القرآن الحاكم على جريان الجميع لا يبقى للشكّ محلّ.

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٩.
(٢) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٣٤.

المبحث الثاني

البناء المفهومي والبعد المعرفي للإعجاز عند السيد الخرسان

الأوّل: حقيقة الإعجاز ، وخصائصه المعرفية :

مفهوم الإعجاز :

عقد السيد الخِرسان في فصله الثاني أول مباحثه بعنوان حقيقة الإعجاز، وقد ناقش فيه التعريف اللغوي القائل: إنّ الاعجاز أصله الفوت وزوال القدرة عن الإتيان بالشيء[١] ، لكنه يميل إلى تعريف الراغب بأنّه: التأخر عن الشيء، ولعله يرفض هذا المعنى بوصف التأخر يحمل شيئًا من الحجة والإعذار في عدم الاقتدار والعجز، مع أنّه صححه على نحو التواضع اللغوي لا مراد حقيقة الإعجاز، وهذا ما جعله يحتج بكلام الباقلاني في أنّ المعجزة لا تصحّ إلّا عما تصح القدرة عليه[٢] والتأخر عن الشيء -الذي قال به الراغب- لا يحقق هذا الشرط، أو فيه شيء منه[٣].

وقد مال الخِرسان إلى مؤدى التعريف الكلامي الشهير القائل بأنّ الإعجاز: ((أن يأتي المدّعي لمنصب من المناصب الإلهية، بما يثبت دعواه وتفوّقه وسبقه في كل مجال كان فيه التحدي، ويعجز عنه غيره)) [٤]، موافقًا في ذلك المفسرين وباحثي علوم القرآن حول مفهوم الإعجاز[٥].

غير أنّه -وفي مقام رؤيته في حدّ المفهوم منهجيًا بشكل أكثر دقة- قد وضع قيدين للتعريف يُغنِيانِه في تخريج ما لا ينطبق عليه المفهوم ممّا هو قريب منه، فقال حول حقيقة المعجز: ((وهو ما لا يقدر عليه في صفته أو في جنسه)) [٦]، ومثّل للأول بفلق البحر؛ لأنّ

(١) بصائر ذوي التميز، الفيروز آبادي ، ١ / ٦٥ ، و معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس، مادة(عجز). و لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (عجز).

(٢) ظ: الفرق بين المعجزة والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات ، الباقلاني ، ٨-٣١.

(٣) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥١.

(٤) المصدر نفسه ، ٥١.

(٥) ظ: الخوئي، البيان في تفسير القرآن ، الخوئي ، ٣ ، علوم القرآن ، محمد باقرالحكيم ، ١٢٧ ، الرحمن في تفسير القرآن البلاغي، ١، ٣.

(٦) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥١.

صفته هو تفريق الجسم الواحد، والثاني بإحياء الموتى فإنّ جنس هذا العمل معجز بذاته، بل جمع القيدين بمعجزة شق القمر فهو تفريق لجسم واحد ، وجنس الحدث بمجمله معجز.

وفي البحث القرآني اشتهر بأنّ أحد وجوه الإعجاز ، هو الإعلام بالغيب الماضي كأخبار الأنبياءﷺ، والمستقبلي مثل الإخبار بغلبة الروم كما جاء في القرآن في مطلع سورة الروم ، غير أنّ السيد الخِرسان لا يعدّها معجزة ؛ لأنّ طبيعة الأخبار يمكن أن تُصدّق ، أو تُكذّب إلّا ما جاءت على أيدي الأنبياء ﷺ، فهو حجة ويمثّل الاستثناء الأخير استدراكًا على عموم القاعدة في نفي توصيف الأخبار الغيبية بالمعجزة.

ولعل حذره في ذلك لتخريج أخبار الكهانة والعرافة مع عدم اتصافها بالأخبار الغيبية الموجبة للتصديق، أي: أنّه يحدد المعيار أن يكون الغيب الموجب للتصديق هو الغيب الإلهي، وإنزال الوحي لا المتأتي من طرق التعلم والتخمين، وهو مفاد الآية من قوله تعالى: ﴿الم ۝١ ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَ مِمَّا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولٰئِكَ عَلٰى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، إذ إنّ الغيب الإلهي مبني على اليقين في الوقوع، خلافًا لأخبار الكهانة والعرافة فهي أخبار ظنية كسبية.

وهذا المعيار يحتاج إلى نقاش وتحرير مبنى المسألة، فإنّ الأخبار الغيبية ، وإن جاءت على يد بعض الأنبياءﷺ لكنها إن لم تقترن بالتحدي فلا تشكل إعجازاً؛ لأنّ عامل التحدي هو المدار الذي يتقوّم عليه الإعجاز في تقويض حجة الخصوم وإلقاء الحجج؛ لأنّ ((المراد بالغيب في هذا المقام هو ما لا يدركه الإنسان ولا يناله من دون الاستعانة من الخارج، ولو أعمل في طريق الوصول إليه جميع ما أعطاه الله –تعالى– من القوى الظاهرة والباطنة، فهو شيء بينه وبين الإنسان بنفسه حجاب، ولا بدّ من الاستمداد من الغير في رفع ذلك الحجاب، وكشف ذلك الستار))[2]، أي: أنّ التحديث يستند إلى الغيب اليقيني الوقوع القائم بالذات من دون تعلّم وكسب ولا تخمين واحتمال.

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١–٥.

(٢) مدخل التفسير ، اللنكراني، فاضل، ٥١.

ثم يقرر بعد هذا موافقته لتعريف السيوطي (ت٩١١هـ) بأنّ المعجزة ((تُطلق على الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدّي، السالم من المعارضة)) [١]، وهذا أوجز وأشهر تعريف وهو جامع مانع، وما قيل معه من بيان فهو توسّع بقصد التوضيح [٢].

وقد ناقش هدف المعجزة بإن تكون شاهدًا على صدق دعوى النبي ﷺ، وبخلاف ذلك تكون شاهدًا على الكذب، وقد حرّر علماء البحث القرآني في كتبهم هذه المسالة ممثلين بذلك لدعوى مسيلمة الكذاب، أو دعوى الألوهية مع الله أو بدونه، لاستحالة ذلك ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [٣]، أو امتناعه بحكم النقل، كدعوى النبوة بعد الخاتم ﷺ فلا يمكن تصديق المدّعي؛ لقول الخاتم ﷺ :((لا نبي بعدي)) [٤]، أو بحكم العقل بالاستحالة في زعم الإلوهية، وحكم النقل الثابت الصحيح بنفي النبوة بعد الخاتم ﷺ" [٥].

وبعد أن استوفى المفهوم ، وصف الإعجاز من جهة وظيفته الإجرائية ، وأثره الخارجي، فقال: ((فَتحَصّلَ في تعريف الإعجاز بأنّه أمر له حقيقة واقعية)) [٦]، ولعله قريب جدًا؛ لأنّه يتحدث عن الوقوع الفعلي والتحقق الخارجي للإعجاز، وليس المفهوم، فلهذا قال: له حقيقة واقعية.

ولعل قوله: ((إنّه جارٍ على غير سنن الطبيعة، بل هو أمر خارق للعادة ومقرون بالتحدّي،...، وتتحقّق المعجزة بلا وساطة سبب عادي، بل بالإرادة الربانيّة المحيطة بالأسباب والمسبّبات، المهيمنة على تأثير السبب في المسبَّب، وتأثّر المسبَّب بالسبِّب، وعندما تحصل المعجزة يحصل اليقين بأنّ الله سبحانه فعلها تصديقًا لنبيّه أو وصي نبيّه)) [٧]، ممّا قلت الإشارة إليه في بحوث المختصين، وهو هنا يخرج المكتسبات والاختراعات ، وسيأتي

(١) الإتقان في علوم القرآن ، ٢ / ١١٦.
(٢) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥٢.
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢.
(٤) مقتطع من حديث المنزلة وهو قوله ﷺ لعلّي عليه السلام: " أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي "
(٥) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥٢.
(٦) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥٣
(٧) م. ن ، ٥٣.

الحديث عنه مفصلًا في حقيقة (الخارق للعادة) وآثارها في محلها من هذا البحث ، إذ إنّ خرق العادة هو خرق لا مستحيل عقلًا ، وإنما مستحيل عادة بسبب اعتياد الناس على علة واحدة في حدوث الأشياء وعملها ونهايتها، وعلى هذا الأساس، فالخرق يتم على ما لا يعرفون ومعتادون عليه بأن يمنح النبي صلاحية التصرف بعلل الكون والتحكم بأسبابه.

فمحدودية الإنسان تحول دون الاطلاع على جميع الخصائص والعلل؛ لأنّه يأنس بالمحسوس والمتعارف لديه، ذلك أنّ النفس الإنسانية تأنس بحدود الزمان والمكان، وهذا ما يناسب الإعجاز الحسي.

شروط المعجزة :

حاول السيد الخِرسان في هذا المطلب إجراء رصد لمقولات العلماء في تعيين القيود المعرفية للإعجاز وشرائط اعتباره، ولم يهدف إلى قراءة الشروط من نواحيها المعرفية، وإنّما كان البعد الوظيفي في هذا المطلب شاخصًا في عنايته ؛ تمهيدًا لأثره في حادثتي شقّ القمر وعلى إثرها ردّ الشمس.

وتتلخص أهمية البعد الوظيفي في أنّه يضفي على صاحب المعجزة قدرة تطبيقية لا يقتدر عليها غيره، ومن ثم إثبات صلته بالقدرة العليا وصدق دعواه.

وقد ذكر السيد الخِرسان نقلًا عن مجموعة من العلماء الشروط المتفق عليها لحقيقة المعجزة وإن كان بعضهم سماها بالصفات والأحكام، ثمّ إنّه ترك اختيار البعض للمتلقي، واكتفى بالشروط الذاتية الواردة في التعريف الكلامي وأنّها شروط ذاتية للإعجاز، وهنا سوف يذكر البحث الشروط العامة التي نقلها الخِرسان ، ويوحّدها بالمضمون ثم يعيّن المنفرد منها، وذلك فيما يأتي:

الفعل الإعجازي خارق للعادة وناقض لها، وليس خارقًا لحكم العقل.

تفرّد الله تعالى بالقدرة عليه وعجز غيره عن الإتيان بمثله.

تبعية الفعل الإعجازي لله ونسبته إلى الله تعالى، غير أنّه يمنح الإذن المتصل للنبي بإقامته.

اختصاص الفعل الإعجازي على يد الأنبياء ، والأولياء وامتناعه على يد غيرهم.

وصف الفعل الإعجازي بالتحدي من قبل الرسل، على أنه معجزة يستحيل الإتيان بمثلها [١].

وأضاف المجلسي وجوب تزامن إقامة المعجزة مع دعوى النبوة ، أو تأخرها عنها وعدم تقدمها عليها، مع أنّ المشهور الخوارق المتقدّمة على دعوى النبوة هي عبارة عن كرامات وإرهاصات أي: تأسيسات للنبوة[٢][٣].

أنواع المعجزات :

اكتفى الخِرسان بتحديد نوعي للمعجزة، وهما: الحسي والعقلي، ناقلًا عن بعض العلماء قوله فيها، ولم ينصّ على تنوعها إلى دائمية ووقتية، وإن كان يلمح بالمضمون بوجود الدائمية في النوع العقلي، غير أنّ باحثي علوم القرآن نصّوا على هذا النوع من الدائمي والوقتي لِما فيه من تعيين ذاتي لخلود القرآن وخاتمية الدعوة الإلهية.

ومن جهة أخرى تتضح وظيفة الإعجاز الوقتي في مراعاته لمستوى وعي الأمة القائمة فيها المعجزة، وفاعليتها في إحداث هداية ومؤثرية فورية للطالبين لها ؛ لأنّ –الوقتية– غالبًا ما تكون حسية تأنس النفس لنوعها.

ولأنّ لحاظ السيد الخرسان هو العناية بالمفاهيم الأساسية في مفهوم الإعجاز –لا سيّما ما يناسب موضوعه في مسالة شقّ القمر التي تصنف أنّها حسية مؤقتة– لم يفصّل القول في الدائمية والمؤقتة ، لا سيّما بعد إدراك أنّ الوقتية تدخل في نطاق معظم الأنواع الحسية ، وأنّ الدائمية تدخل في نطاق العقلية حصرًا ، فعلى هذا الأساس اختزل الخِرسان الأنواع في نوعين (الحسي والوقتي) حتى إذا ما أتى على ذكر المعجزات رصد للقارئ الأنواع جميعها.

وينقل السيد الخِرسان تفصيل الراغب الإصفهاني للمعجزات التي أتى بها الأنبياء عليهم السلام

(١) ظ: الفرق بين المعجزة والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات ، ٨–٣١ ، و كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي ، ٢١٨ ، و تفسير القرطبي ١ / ٧١.
(٢) ظ: بحار الأنوار ، ١٧ / ٢٢٢.
(٣) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥ –٥٦.

أنها نوعان: حسيّ وعقلي، مبينًا بأنّ:

النوع الحسيّ: هو ما يُدرَك بإحدى الحواسّ، مثل: ناقة صالح، وطوفان نوح، ونار إبراهيم، وعصا موسى ﷺ. وهو أسرع بالتقبّل عند العامة مع فهم الخاصة له ، وجعل الله تعالى أكثر معجزات بني إسرائيل حسيًا لبَلادَتهم وقلّة بصيرتهم.

النوع العقلي: هو ما يدرك بالبصيرة، مثل: الإخبار عن الغيب ، والإتيان بحقائق العلوم التي حصلت عن غير تعلّم، فهو يختصّ بإدراكه كله الخواصّ من ذوي العقول الراجحة، والأفهام الثاقبة، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلياً لكمال أفهامها [1].

وقد كان لرسول الله محمد ﷺ قدرة التصرف بالنوعين، فسبّح الحصا في يده ، وشقّ القمر له ، وأخبر بالحوادث الماضية والآتية وجاء بالقرآن مشتملًا على كل شيء ليُعدّ أعظم معجزة إلهية عرفها الوجود، وقد تحدى الله العالم بالإتيان ولو بسورة من مثله، ﴿وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلىٰ عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ اُدْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اَللهِ﴾[2].

خصائص معجزات رسول الله محمد ﷺ :

نقل السيد الخِرسان عن الحافظ ابن شهراشوب أن للنبي ﷺ معجزات لم تكن لغيره، وأنّها أربعة آلاف وأربعمائة وأربعون معجزة موزعة قبل مولده كإرهاصات لحلول موعد النبوة الخاتمة، ومنها بعد مولده وبعد بعثته، وبعد وفاته[3]، ولعله يريدها بين الكرامة ، أو المعجزة بمعناها العام مثل حدوث أحداث لم يك تغيرها من المعتاد في أفهام العامة، فلعله يريد تغير العادة والطبيعة فقط ، وهو شرط ذاتي للمعجزة ، غير أنّ الإعجاز بمعناه الدقيق يشترط لخرق العادة وجود مؤثر واعي وبهيئة التحدي ، وهذان الركنان يفتقر لهما تغير ثبات الأحداث قبل وفاة النبي ﷺ وبعده إلى البعثة، فلا يبقى إلّا أن يحمل قصد ابن شهراشوب ونقل الخِرسان له على أنّه يريد الإطار العام للإعجاز ، أو الكرامة وهذا ما يؤكده الخِرسان

(١) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥٧.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب ، ١٢٥-١٢٦.

لاحقًا بقوله : ((ليس كل خرق عادة يكون معجزة، بل العادة أحد شروطها))[١].

وبراعة الإعجاز تتجلى في ملاءمة قضية الإعجاز لكل نبي بما يلائم عصره، وينسجم مع فنون جيله، ويعزى إلى حياة قومه فيما هو طبيعي أو خارق دون تحدٍّ[٢]، وعلى هذا الأساس نقل الخِرسان[٣] نصًّا عن خصاص معجزة القرآن، كان أبرزه: ((إنّ معجزَ كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره، كما بعث الله موسى عليه السلام في عصر السحرة بالعصا فإذا هي تلقف ما يأفكون، وفلق البحر يبساً، وقلب العصا حيّة، فأبهر كل ساحر وأذلّ كل كافر.

وقوم عيسى عليه السلام أطبّاء فبعثه الله بإبراء الزمنى وإحياء الموتى، بما دهش كل طبيب وأذهل كل لبيب.

وقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلغاء فصحاء فبعثه الله بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البلغاء وتبلّد فيه الشعراء، ليكون العجز عنه أقهر، والتقصير فيه أظهر))[٤].

ومبنى هذا الكلام في التراث الإسلامي كان على يد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، إذ كان الإمام عليه السلام أوّل مَن نبّه إلى هذه الحقيقة العالية فيما رواه ابن السكّيت (ت٢٤٤هـ)، ((قال ابن السكّيت للإمام الرضا عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء، وآلة السحر؟ ، وبعث عيسى بآلة الطب؟ ، وبعث محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم بالكلام والخطب؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام: (إنّ الله لـمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم، وأنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات، واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا به الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله،

(١) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس، ٥٩.
(٢) نظرات معاصرة في القرآن الكريم ، محمد حسين الصغير ، ١١
(٣) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٨٥.
(٤) مناقب ابن شهرآشوب ، ١٢٥-١٢٦.

وأثبت به الحجّة عليهم.

وأنّ الله بعث محمّدًا ﷺ في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام –وأظنه قال: الشعر– فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم) ، قال: فقال ابن السكّيت: تالله ما رأيت مثلك قطّ، فما الحجّة على الخلق اليوم؟ فقال ﷺ: (العقل؛ يُعرف به الصادق على الله فيصدّقه والكاذب على الله فيكذّبه) ، فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب))[1].

فقد أوضح هذا النص الحكمة من تنوع المعاجز من نبي لآخر ومن زمن لآخر، إذ إنّه ينبغي أن تتوفر السنخية بين المعجزة والفن الذي يبرع به أهل الزمان؛ لأنّ أهل الفن هم الأقدر على تمييز المعجز من غيره والصحيح من المزيف، ويرجع إلى أهل الخبرة عادة في تشخيص الحالات المشكلة والصعبة.

ومعجزة كل نبي شيء ورسالته شيء آخر، فمعجزة موسى ﷺ في العصا ، واليد البيضاء ، والآيات البينات، ولكن رسالته هي التوراة، ومعجزة عيسى في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى، ولكن رسالته هي الإنجيل، إلّا نبيّنا محمّد ﷺ فإنّ معجزته عين رسالته، ورسالته هي معجزته، وهما معًا القرآن [2].

الثاني: حقيقة العادة وحدودها :

كان الهدف من إقامة المعجزة تتميم الحجج على العباد ؛ من أجل التصديق بدعوى رسالة النبيﷺ أنّها من السماء ؛ ولأجل ذلك كانت الدعاوى الإلهية تنوّع من أساليب الإقناع لتحقيق غرضها في الإيمان بها، وما يزال الإنسان يعاند عن الاعتراف بمحدوديته ويتمرد على وجود نظام إلهي يحفظ توازنات الحياة.

وعليه جاء الأنبياءﷺ بمعاجز شتى تتنوع قوتها بحسب كل أمة، لا سيما الإعجاز الحسي؛ لأنّ الإنسان يأنس بالمحسوسات، فتنوع تأثير المعجزة بالترهيب والترغيب الذي يقع على سنن الحياة ، ومجاري شؤون الناس ، ونظامهم الثابت وقوانين الطبيعة التي

(١) الكافي ، الكليني ، ١ / ٢٤.

(٢) ظ: الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي، ١٣٠.

يعيشون تحت أفيائها، فيقلب هذا الثبات إلى تحول وتغير ليثبت تمكنه من سنن الكون ، وتسلطه عليها تمهيداً لخلق المؤثرية ولتصديق دعوته؛ لأنّ النبي يتفرّد من دون سائر الخلائق بإمكانات التصرف بالكون وفقًا للأوامر الإلهية على سبيل التحدي.

ومن هنا فإنّ التحول والتغير يقع على الثابت في الطبيعة والمعتاد في نظامها، وهو التعريف الذي تنبّه إليه الخِرسان كمقدمة لطبيعة الخرق الذي يقع عليه حينما قال في حقيقة العادة: ((هي تكرار علم العالم بوجود الشيء المعتاد على طريقة واحدة، إمّا بتجدّد صفته وبتكرّرها، أو ببقائه على حالة واحدة))[1]، مع أنّ هذا المعتاد ليس من نوع المعتاد عقلاً مثل امتناع اجتماع النقيضين، أو جعل الجزء أكبر من الكل، فهو يدخل في الاستحالة العقلية التي تتعلق بتوازنات الحياة ، وإنما هو من نوع المعتاد عرفًا في الطبيعة البشرية الخارجية، وهذا يتعلق بحدود معرفة البشر.

وقد حدّد الخِرسان ضابطة أساسية للعادة في أنّها لا تشمل عامة البشرية بصفاتها المشتركة، وإنما تختص بالأمة المرسل إليها الرسول ((وإنّما يكون خرق العادة بالشيء الذي يفعله الله سبحانه معجزة لنبيّه الذي يتحدّى قبيله، ويحتجّ بها على نبوّته ليلزمهم العلم بصدقه، وأنّه مرسل إليهم من الله تعالى))[2]، فالعادة تدور مدار حدود بعثة إرسال المرسل، اتسعت أو ضاقت، فلا بد أن تكون حدود دعوة النبي ﷺ تنصب على عادة واحدة؛ لأنّ اتساعها وتخطّيها للزمن يقتضي خلودها وعالميتها ، وهذا لم يكن إلّا بدعوة الإسلام القرآنية، فهي جاءت بمعجزة عالمية تتخطى بتحديها الزمان والمكان؛ لذلك ينظر الخِرسان نظرة معرفية لمطلبه وذلك لحدِّ العادة بحدٍّ شامل جامع بقوله: ((العادة هي الحالة المستمرّة في نظام الطبيعة عند تلك الأمة))[3]، أي: أمة محددة .

وعلى ذلك شخّص الخِرسان بعض المستثنيات، نذكر منها:

الأكل والشرب والنوم، فلا معجزة في خرق ذلك؛ لأنّها يستوي فيها عامة الناس في كل

(١) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥٩.
(٢) ظ: المصدر نفسه ، ٦٠.
(٣) المصدر نفسه ، ٦٠.

عصر ومصر فتتعدّى حدود الإرسال.

ما يستوي فيه أهل عصر دون غيرهم، وأهل مصر دون غيرهم، فلا يكون خرق العادة عند أهل ذلك العصر خرقًا لغيرهم، فإنْ أرسل بشرًا أرسله بما يخرق عادة البشر، وإنْ أرسل جِنّيًّا أظهر على يده ما هو خارق لعادة الجن، وإنْ أرسل طيرًا أظهر على يده ما هو خارق لعادة الطير، وهكذا ، وكانت حجّته في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1]، وقوله جلّ وعلا ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2].

الثالث: القراءة المعرفية لحقيقة خرق العادة :

تقدم في تعريف الإعجاز أنّه تحكُّم في ثبات المعتاد، وأنّه يتمّ وفقًا لقوة تأثيرية في نفس النبي لها قدرة التحكّم بالطبيعة، إذ إنّ الطبيعة تسير على وفق نظام ثابت يخضع لقانون الأسباب والمسبّبات ممّا يستظهر أنّ العلاقة بين الأسباب والمسبّبات هي التي تتحكّم بهيئة ظهور الطبيعة، فالنار -مثلًا- تحرق، وعلة الإحراق هي الحرارة، فالمحروق يطيع حرارة النار، فلو تمكّن أحد من التحكّم بعلة الإحراق لتوقفت خاصّيّتها، وهنا يأتي القول بحصول خرقٍ للمعتاد الثابت في خاصّيّة النار على الإحراق، أي: أنّ الفعل الخارق للعادة ((جارٍ على غير سنن الطبيعة، بل هو أمر خارق للعادة ومقرون بالتحدّي... وتتحقّق المعجزة بلا وساطة سبب عادي، بل بالإرادة الربّانيّة المحيطة بالأسباب والمسبّبات، المهيمنة على تأثير السبب في المسبَّب، وتأثر المسبَّب بالسبب، وعندما تحصل المعجزة يحصل اليقين بأنّ الله سبحانه فعلها تصديقًا لنبيّه أو وصيّ نبيّه))[3]، وهذه الإشارة من السيد الخِرسان تمثّل وعيًا معرفيًّا في عمق مفهوم الإعجاز وفلسفته، وإنّ إشارته إلى أنّ المعجزة فعل من الله ؛ لأجل تصديق نبيّه تدعونا إلى التأمُّل بها أكثر لمعرفة العلاقة بين الأمرين، وهو ما سيتمّ بيانه قريبًا.

وجريان الفعل على غير سنن الطبيعة يظهر أنّ لسنن الطبيعة أكثر من علة تتحكّم بها، غاية ما هنالك أنّ عامة البشر لم تطّلع عليها لجهلها ، أو لاختصاص علم الغيب بالله تعالى،

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٤.
(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١٥.
(٣) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٥٣.

ولعلنا نقترب من القول بأنّ أصل الإعجاز يرجع إلى العلم الإلهي الذي يطلع على غَيبِه بعض الأولياء ؛ حتى يمكن لهم أن يتصرّفوا بالموجودات لحكمته تعالى وتحقيقاً لغرضه.

وبعبارة أخرى: إنّ خرق العادة يتم بوساطة معرفة مكونات علل الأشياء والتسلّط عليها، وحتى يتحكّم بظواهرها، فإنّ للموجودات عللًا عديدة، نحن لا نعلم إلّا ما اعتدنا عليه وعرفناه، كما حصل مع نبي الله إبراهيم ﷺ حيث توقفت علة الإحراق في النار ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1] ، ((وقد أظهر الله ذلك معجزة لإبراهيم إذ وُجِّه إلى النار تَعَلُّق الإرادة بسلب قوّة الإحراق))[2]، فسَلَب خاصّيّة الإحراق، وإلى هذا يشير الرازي بأنّ في النار خواصَّ عديدة، وفي نار إبراهيم ﷺ سَلْبَ خاصّيّتين فقط، هما الحرارة والإحراق، لتبقى خواصّ أخرى، وعلى هذا فقد أورد الرازي في تفسيره للنص القرآني المتقدم ثلاثة وجوه، وقد رجّح الأوّل منها وهو: أنّ الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحرّ والإحراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق[3].

وهذه الحقيقة تكشف عن روابط وعلل عديدة في الأشياء، ووجود إمكانية تغيير العادة بأسباب وعلل مخفيّة عنّا، وما ذلك إلّا لانحصار الفهم البشري بظواهر الحقائق وعدم اطّلاعه على العلل الأخرى لعملها، ولأنّ لبعض النفوس علاقةً عاليةً مع الله تعالى فقد أطلعها على تلك العلل، ومَكّنَها منها، وسلّطها عليها بإذنه ومشيئته، وبهذه الكيفية كان الأنبياء ﷺ يقيمون المعاجز، وذكروا علاقة تلك النفوس القوية مع العالم، وكيفية تأثيرها فيه كما تؤثّر في أجسامها.

كيفية تصرُّف النبي بالموجودات وإقامة المعجزة :

أمّا كيف تتمكّن النفس من إحداث فعليّة جديدة وتغيير في الموجودات؛ فذلك راجع إلى ارتفاع قواها حتى تتمكّن من الهيمنة على الموجودات الخارجية كما تهيمن على بدنها، فكما

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩.
(٢) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ١٧ / ١٩٦.
(٣) ظ: تفسير مفاتيح الغيب ، الرازي ، ٢٢/ ١٥٩ ، تفسير روح المعاني ، الآلوسي ، ٨ / ٦٦.

يطيع البدن أوامر النفس في الحركة والسكون بسبب سلطتها عليه، وخضوع حركة البدن إلى إرادة النفس؛ فكذلك يطيع العالم النفس العالية، وتخضع إرادته لإرادتها، فيتحكّم بعلل الموجودات ويوجِد فيها التغيير والإحداث.

وقد أقرّ الحكماء إمكان وجود هذه الخاصّيّة في النفس التي يحصل على يدها الإعجاز أو الكرامة، يقول الشيخ الرئيس ابن سينا: ((فلا تستبعدنّ أنْ يكون لبعض النفوس ملكةً يتعدّى تأثيرُها بدنَها، ويكون لقوّتها كأنّها نفس ما للعالم، وكما يؤثّر بكيفيّة مزاجيّة يكون قد أثّر بمبدأ جميع ما عددته))[1]، فكأنهّا تدير وتدبّر أكثر أجسام العالم، وكما تؤثّر قوّتها وسلطتها على بدنه كذلك لها القدرة على التأثير في أجسام العالم.

وفي هذا الشأن قرّر الملّا صدرا [صدر الدين الشيرازي] الخواصّ المؤثرة في إحداث المعجزات ، والكرامات بحصيلة تبيّن حقيقة النفس، وما يمكن أن تُحدثه من تغيير وتصرّف في النظام العِلِّيّ المعتاد عند عامة البشر، وهو نفسه بيان لحقيقة الإعجاز، ((فلا عجب أن يكون لبعض النفوس قوّة إلهيّة يكون بقوّتها كأنّها نفس العالم ليطيعها العنصر طاعة بدنها، سيّما وقد عَلِمت أنّ الأجسام مطيعة للمجرّدات، بل هي ظِلال لها وعكوس منها، فكلما ازدادت النفس تجرُّدًا وتشبُّهًا بالمبادي القصوى ازدادت قوّةً وتأثيرًا في ما دونها، وإذا صار مجرّد التصوّر والتوّهم سببًا لحدوث هذه التغيّرات في هيولى البدن، وليس ذلك لكون النفس منطبعة فيه بل لعلاقة طبيعيّة شوقيّة، وتعلّق حبّيّ جِبلّيّ لها إليه، فكان ينبغي أن يؤثّر في البدن الغير، وفي هيولى العالم مثل هذا التأثير؛ لأجل مزيد قوّة شوقيّة واهتزاز علويّ للنفس، ومحبّة إلهيّة لها، وشفقة على خلق الله ، شفقة الوالد لولده والأمّ لولدها فيؤثّر نفسه في إصلاحها وإهلاك ما يضرّها ويفسدها))[2].

وهو ما يراه عضد الدين الإيجي (ت٧٥٦ هـ) في وجوب الإعجاز على النبي، وضرورة اطّلاعه على المغيّبات، وإحداث الخوارق على يده، بـ ((أنْ يظهر منه الأفعال الخارقة للعادة، لكون هيولى عالم العناصر مطيعة له منقادة لتصرفاته انقياد بدنه لنفسه، في حركاته وسكناته

(١) الاشارات والتنبيهات ، ابن سينا ، ٣ / ٤١٤
(٢) المبدأ والمعاد ، ٦٠٧.

على وجوه شتى وأنحاء مختلفة بحسب إرادته، ولا يستنكر ذلك الانقياد؛ لأنّ النفوس الإنسانية ليست منطبعة في الأبدان وهي بتصوراتها مؤثرة في المواد البدنية، كما تشاهد من الاحمرار والاصفرار والتسخّن عند الخجل والوجل والغضب، وإذا كانت إرادات النفس وتصوراتها مؤثرة في البدن مع عدم الانطباع فيه فلا يبعد أنْ تقوى نفس النبي بحيث تنقاد له الهيولى العنصرية فتؤثر فيها إرادته ، وتصوراته حتى تَحدُثَ بإرادته في الأرض رياحٌ، وزلازل وحرق وغرق وهلاك أشخاص ظالمة وخراب مدن فاسدة)) [١].

وقرّر أنّ النفس تنقسم على ترك ، وقول ، وفعل ((وأما الفعل فبأنْ يفعل فعلًا لا تفي به مِنّة غيره، من نَتْقِ جبلٍ أو شقّ بحر، وقد تقدم بيانه بأنّ نفسه لقوّتها تتصرّف في مادة العناصر كما تتصرّف في أجزاء بدنه)) [٢].

وكان العلامة الطباطبائي قد بيّن أصول المعجزات والكرامات ، وكيفية حصولها على يد النبي بوساطة القوة النفسانية، بأنّ ((تلك الأصول ترجع إلى مبادئ نفسانية ومقتضيات إرادية عند الأنبياء والرسل والمؤمنين)) [٣].

وهذه الإرادة تبعيّتها لله، قد تمكنت بواسطة العلم الذي منحه الله إيّاها من التحكّم بعلل الموجودات، والتأثير في روابطها؛ لتُغيّر، وتُوجِد، وتُحدِث فيها فِعليّة جديدة غير تلك التي كانت ثابتة.

وهذا لا يُعدّ خروجًا عن السُّنّة التي أجراها الله في قانون الأسباب والمسبّبات في أنّ لكلّ شيء سببًا، بل غاية ما هناك أن يوجد سببٌ لم نطّلع عليه، وعلل غير تلك المعتادة للأشياء عند عامة البشر، فيعمد صاحب المعجزة أو الكرامة إلى التصرّف فيها، ليحدث الخارق للعادة عند الناس، ((وأمّا القرآن الكريم فإنّه وإنْ لم يشخّص هذه العلة الطبيعية الأخيرة التي تعلّل جميع الحوادث المادية العادية ، والخارقة للعادة على ما نحسبه بتشخيص اسمه ، وكيفية تأثيره لخروجه عن غرضه العام ، إلّا أنّه مع ذلك يثبت لكل حادث مادي سببًا ماديًا

(١) المواقف ، ٣ / ٣٣٤.
(٢) المواقف ، ٣ / ٣٤٨.
(٣) الميزان في تفسير القران ، الطبطبائي ، ١ / ٨٢.

بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1]، فإنّ صدر الآية يحكم بالإطلاق من غير تقييد أنّ كل من اتّقى الله وتوكّل عليه -وإن كانت الأسباب العادية المحسوبة عندنا أسبابًا تقضي بخلافه وتحكم بعدمه- فإنّ الله سبحانه حسبُه فيه، وهو كائن لا محالة ، ثم الآية التالية وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾، يعلّل إطلاق الصدر، وفي هذا المعنى قوله: ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وهذا معنًى مطلقة غير مقيد بشيء البتّة، فللّه سبحانه سبيل إلى كل حادث تعلّقت به مشيّته وإرادته، وإن كانت السبل العادية والطرق المألوفة مقطوعة منتفية هناك))[3]، ومن ثمّ تمثّل طاعة المخروق واستجابته دليلًا على هيمنة متسلّطة عليه يمارسها النبي بالإعجاز.

مكونات تصرّف النبي بالموجودات:

فصَّل الملّا صدرا القول في بيان أصول المعجزات والكرامات ، وخواصّها إلى وجود ثلاث خصائص في النفس يمكن بحصولها أن تتحكّم بالموجودات الخارجية، وحاصلها:

الخاصّيّة الأولى: ((كمال القوة النظرية، وهي أن تصفو النفس صفاءً تكون شديدة الشبه بالعقل ؛ ليتّصل به من غير كثير تفكُّر، وتعمل حتى يفيض عليها العلوم من دون توسط تعليم بشري، بل يكاد أرض نفسه الناطقة أشرقت بنور ربّها، وزيت عقله المنفعل لغاية الاستعداد يضيء بنور العقل الفعّال.

الخاصّيّة الثانية: كمال القوّة المتخيلة، هو كونها قوية حيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب.

الخاصّيّة الثالثة: في قوة النفس من جهة جزئها العملي، وقواها التحريكية؛ لتؤثر في هيولى العالم[4] بإزالة صورة ونزعها عن المادة، وبإيجادها وكسوتها إياها، فيؤثر في استحالة

(١) سورة الطلاق ، الآيتان : ٢- ٣.

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٢١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ، ١/ ٧٦-٧٧.

(٤): الهيولي في مفهومه العام هو: الاستعداد للتغيير والتبديل وقابلية صيرورة الشيء الى شيء اخر: وهو يقال لكل شيء من شأنه ان يقبل كمالا وامرا ما: فهو قوة موضوعة لحمل الصورة منفعلة ويعتبر طينة العالم. ظ: رسائل ابن سينا ، ٩٣ ، رسائل الكندي الفلسفية ، ١١٤ ، رسائل اخوان

الهواء إلى النعيم وحدوث الأمطار، وحصول الطوفانات، واستهلاك أمّة فَجَرَتْ وعَتَتْ عن أمر ربّها ورسله، واستشفاء المرضى، واستسقاء العطشى وخضوع الحيوانات))[1].

فالعلم في حقائق الموجودات يؤدي إلى كشف الواقع والغيب، ممّا يجعل النفس ترتفع فتسلّط على ذوات الموجودات، وتتحكّم في عللها ومؤثّراتها، وهذا أمر لا يتسنّى لأيّ أحد إلّا أن يكون مستعدًّا له بحسب ما أسلف ملّا صدرا.

خرق العادة ضابط لصدق الدعوى:

وهكذا يستمر التخطيط الإلهي في إثبات دعاوى الأنبياء ﷺ، وذلك بتوفير سبل الإقناع والاعتقاد، ومنها إقامة المعجزة لغرض إثبات صدق دعوى النبي، وقد ذهب السيد الخِرسان مذهب العلامة الحلّي (ت٧٦٢هـ) في جعل نفي العادة وتغيير الثبات وخرقه دالًّا على صدق دعوى النبي، فقال العلّامة : ((وطريق معرفة صدقه ظهور المعجزة على يده، وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد، مع خرق العادة ومطابقة الدعوى))[2]، فجعل ثبوت ما ليس بمعتاد ، أو نفي المعتاد دالًّا على إثبات صدق الدعوى ومطابقتها؛ ((لأنّ الثبوت والنفي سواء في الإعجاز، فإنّه لا فرق بين قلب العصا حيّةً، وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء، وشرطنا خرق العادة؛ لأنّ فعل المعتاد أو نفيه لا يدلّ على الصدق))[3]، فلعل مدعيًا إبراءَ الأعمى يخرق العادة بكذبه فيحصل الصمم، فلا يدل على صدقه بل على كذبه، وذلك مثلما فعل مسيلمة حينما مسح على رؤوس الصبية أو تفل في البئر فغار الماء.

وأحسب أنّ ذهاب العلّامة الخِرسان إلى ذلك؛ لأنّ المعجزة تتقوّم بالتحدّي، ولا يمكن أن يكون غير صادق فيَعِد متحدّيًا بالإيتاء بما يتحدّى به، ثم لا يتحقّق ذلك، فلا تصدُق

الصفا ، ٣/ ١٣٨ ، معجم المصطلحات العلمية ، فايز الداية ، ٧٥ ، المصطلح الفلسفي عند العرب، عبد الامير الاعسم، ١٩١ ، مصطلحات علم المنطق عند العرب مجموعة مؤلفين ، ١٠٨٧، شرح المصطلحات الفلسفية مجمع البحوث الاسلامية مشهد ، ٤٤٠-٤٤١.

(١) المبدأ والمعاد ، الشيرازي، صدر الدين محمد ، ٦٠٤ – ٦٠٥.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، ٢٢١-٢٢٢.

(٣) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٨١.

دعوته! فلو وعد النبي ﷺ قريشًا متحدّيًا بشقّ القمر ثمّ لم يشقّه، لَما صدّق أحدٌ إلهيّة دعوته ووعده.

وسائل الخرق وسبل تحقّقه:

لا بدّ للنبي من سبل وطرق لإقامة المعجزة، وقد أرجع المختصّون تحقّق المعجزة إلى طرق متنوعة يُعمل بها بحسب المقتضى، مفردة أو قد تجتمع معًا ، ومنها (الأمر الإلهي، وعلم النبي ومعرفته بعلل الموجودات؛ فيمنحه الله القدرة والشفاعة في التصرّف بها، أو بالدعاء ، فيستجيب الله بحكمته).

وقد نصّ العلّامة الطباطبائي في سبب إيجاد الحدث وعلّته على وجهين:

أحدهما: إمّا أنْ يوجده بالإرادة وحدها، من غير سبب طبيعي وعلة مادية.

ثانيهما: أنْ يوجده بسبب طبيعي مستور عن علمنا، وهو ما دلّ عليه النص الكريم ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ أنّ لكل حدث ارتباطاتٍ وعللًا أعمّ ممّا تقتضيه الأسباب العادية والعوامل الطبيعية، فقد تتلبس فيه تلك العوامل أو لا تتلبس، فإنّ له قدرًا وتصميمًا قدّره الله له، سواء خضع للعوامل الطبيعية أو لم يخضع ؛ لأنّ ((هذه الاتصالات والارتباطات ليست مملوكة للأشياء أنفسها حتى تطيع في حال وتعصي في أخرى، بل مجعولة بجعله تعالى مطيعة منقادة له... و ليس هذا نفيًا للعلّية والسببيّة بين الأشياء، بل إثبات أنّها بيد الله سبحانه، يحوّلها كيف شاء وأراد، ففي الوجود عِلّيّه وارتباط حقيقي بين كل موجود وما تقدمه من الموجودات المنتظمة، غير أنّها ليست على ما نجده بين ظواهر الموجودات بحسب العادة))[1].

هذا، وإنّ علم النبي ﷺ مِنحة من علم الله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[2]، وهو علم على أتمّ وجه وأكمله، وقد حُصِّل من غير وساطة، أفاضه الله عليه من عالم الغيب[3] ليُطلِع نبيَّه ﷺ على المؤثّرات الخاصة بالعلل والروابط، وعلى العلل الأخرى المؤثرة في الموجودات

(١): الميزان في تفسير القران ، الطبطبائي ، ١/ ٧٦-٧٧.
(٢): سورة الكهف ، الآية : ٦٥.
(٣): ظ: مفاتيح الغيب ، الرازي ، ٢١/ ٤٨٣.

فيما بينها، ويمكّنه من التحكّم بمساراتها على وفق ما تقتضيه المصلحة، فيتوجه إلى الفعل الكوني ليُحدث فيه فاعليّته.

وعلى السياق نفسه تأتي القراءة المعرفية للسيد الخِرسان بوصف الموجود الذي يقع عليه الإعجاز مخلوقًا مطيعًا للأمر الإلهي، وأنّ خرقه لا يتمّ إلّا بإذن خاصّ من الله تعالى مستدلًّا بقوله تعالى ﴿وَ مٰا كٰانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللهِ فَإِذٰا جٰاءَ أَمْرُ اَللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنٰالِكَ اَلْمُبْطِلُونَ﴾[1]، وأنّ هذا التصّرف من قبل الأنبياء عليهم السلام لا يتمّ مستقلاً عن الإرادة الإلهية بل هو مشفوع بها، فيغيّره بقدرته حينًا مّا، استجابة لدعوة نبي من أنبيائه عليهم السلام، عند طلبه ذلك التغيير لمصلحة يراها، إتمامًا للحجة على العباد[2].

فهذه ثلاث وسائل –وفقًا لقراءة الخِرسان – بوساطتها يتم خرق العادة وإقامة المعجزة من قبل النبيّ ، وهي الأمر الإلهي المباشر، ودعاء النبي، والفعل النبوي المشفوع بالإذن الإلهي التابع لعلمه بعلل الموجودات، فيقيمها بحسب المقتضى.

وعلى هذا الأساس مثّل الخِرسان لذلك بطائفة من النصوص القرآنية، لتأتي قراءته المعرفية على طول الرؤية القرآنية في إقامة المعجزة، ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمّٰا كَذَّبُوا اَلرُّسُلَ أَغْرَقْنٰاهُمْ وَ جَعَلْنٰاهُمْ لِلنّٰاسِ آيَةً﴾[3].

ومن ذلك:

تخلّف النار عن الإحراق كما في قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْنٰا يٰا نٰارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاٰماً عَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ﴾[4].

وخروج الناقة من الحجر آية سيّدنا صالح عليه السلام: ﴿هٰذِهِ نٰاقَةُ اَللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهٰا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اَللهِ وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

وانفلاق البحر لسيدنا موسى عليه السلام ، وَضَرْبُ طريقٍ يَبَسٍ فيه لبني إسرائيل، قال تعالى:

(١) سورة غافر ، الآية : ٧٨.
(٢) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٨٨ – ٨٩.
(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٣٧.
(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩.
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ٧٣.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾(٢). وتحوّل عصاه إلى أفعى تلقف ما يأفكون، ومطر السماء عليهم بإرسال الجراد والقمّل والضفادع والدم، إلى غير ذلك من الآيات التي كانت في الأُمم السابقة.

وما وقع لنبينا ﷺ من الآيات التي فيها خرق لنظام الطبيعة كثيرٌ، ولعلّ من أهمّها الإسراء، والمعراج، وانشقاق القمر، وردّ الشمس، إلى غير ذلك ممّا فيه دلالة على وقوع التغيير في السنن الكونيّة عند توفّر دواعيه من دون حاجة إلى تعليل وتفسير، ما دامت القدرة الإلهية هي المهيمنة على التسيير والتغيير ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾(٣)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾(٤)، (٥).

الرابع: الكرامة خرق بلا تحدٍّ:

تتميمًا لمنهجه الاستقرائي في تتبّع الموضوع المبحوث طوليًا وعرضيًا، تناول السيد الخِرسان المفاهيم القريبة من الإعجاز، ومنها الكرامة؛ إذ إنها تشترك مع الإعجاز في التصرف بالطبيعة والتحكّم بعللها، ومن ثَمّ خرق المعتاد، بيد أنّها تفترق عن الإعجاز في عنصرين أساسيين، هما: دعوة النبوة، والتحدّي لإثبات صدقها، فتخلو عنهما الكرامة بعد أن يتقوّم بهما الإعجاز.

وفي هذا السياق ولأجل استيعاب مفهوم الكرامة من تصوّراته الممكنة، فقد عرض السيد الخِرسان مفهوم الكرامة وطرق تحقّقها وشروطها والفاصل الجوهري بينها وبين الإعجاز، كما تناول أبرز آراء الفكر الإسلامي في وقوعها أو عدمه.

مفهوم الكرامة وطرائق تحقّقها:

وفي مفهومها، وسبل تحقّقها يرى أنّ الكرامة: ((نفحة من نفحات القدس تُشرِق على

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.
(٢) سورة طه، الآية: ٧٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٦.
(٥) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس، ٩٠.

روح الوليّ، فيدعو الله سبحانه وتعالى فيستجيب له، وتصدر على يديه أمور خارقة للعادة، فقد تظنّ أنّها معجزة، وليست كذلك)) [١]، وقيل إنّ الكرامة: كل خارق للعادة على يد الولي، غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبدٍ ظاهر الصلاح، مصحوبًا بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح[٢]، وقد تُشبِه في فاعليتها بعض ما يصدر من أصحاب الرياضات ممّن تتهذّب روحه فيمتلك قوة روحية عالية، فتصدر منهم بعض الخوارق، فيتصورها البعض كرامة -مثل ما يقيمه محضّرو الأرواح- وهي ليست كذلك؛ لأنّها لا تخضع للشروط الموضوعية للكرامة الآتي ذكرها[٣].

ولا يختلف المذهب الأشعري في الإيمان بالكرامات وثبوتها مطلقًا، فهي مشهورة عندهم[٤]، فقد صرحوا بأنّ الإيمان بها حقّ لا يُنكر ومن لا يؤمن بها فقد كفر[٥]، ويرى الشهرستاني ضرورتها؛ لأنّها تدخل في طريق تصديق الأنبياء ﷺ، وتؤكّد معجزتهم، فيقول: ((والكرامات للأولياء حقّ وهي من وجه تصديق للأنبياء وتأكيد للمعجزات)) [٦].

فهي عطاء إلهي لا تمنح لصاحبها أيَّ استقلال عن علتها الفاعلة ، بل إنّ سبيل تحقّقها -وهو الدعاء- قرينةٌ على أنّها استجابة لمنزلة كريمة لصاحبها عند الله تعالى ليقيم الخارق للعادة.

شروط الكرامة وخصائص صاحبها :

ويمكن تلخيصها بحسب رؤية الخِرسان إلى:

لا تصدر إلّا من الطائع لله تعالى، من نبي ، أو وصي ، أو ولي امتحن الله قلبه بالإيمان.

أنّها تكرُّمٌ من الله على الأولياء، وليس نوالها منهم بالتعلم والإكتساب.

(١) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٦٢.

(٢): ظ: شرح صحيح مسلم ، النووي ، ١٦ / ١٠٨ ، شرح الطحاوية ، ابن أبي العز ، ٤٩٤ ، لوامع الأنوار البهية ، ٢/ ٣٩٢

(٣) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٦٣.

(٤): ظ: فتح الباري ، ابن حجر ، ٧ / ٢٩٤.

(٥): ظ: طبقات الشافعية الكبرى ، عبد الوهاب السبكي ، ٢ / ٣١٤.

(٦): الملل والنحل ، الشهرستاني ، ١/ ٩٣ .

أنّ استعمالها بتسديد الله، ولا استقلال لصاحبها [١].

أنّ وقوعها يصدق بالنقل الصحيح الثابت، فيلزمنا تصديق ما ورد، ما دامت أدلّة الإثبات تامّة الحجّية في الإثبات، كما في بعض الكرامات التي وقعت لبعض الأنبياء أو الأوصياء، فإنّها لم ترد صراحة في الكتاب العزيز، وما طلبُ الإشارةِ لِمن طلبها فيه بعزيزٍ، كما في مسألة ردّ الشمس لسليمان عليه السلام ، أو ليوشع بن نون عليه السلام ، أو للنبي صلى الله عليه وآله، أو لأمير المؤمنين عليه السلام ، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى [٢].

المائز بين الإعجاز ، والكرامة ، والسحر:

ليست الكرامة كمالًا لتحقيق إمكانات ذاتية لصاحبها، وإنّما -بحسب المفاهيم المتداولة- هي أداة بيد الأولياء لتحقيق المقتضى الإلهي، سواء على يد أصحاب الرسالات أو المطبّقين لمشروعهم، فقد ترى من أصحاب الكرامات ما يصيبهم من أشد أنواع الأذى والبلاء، لكنهم لم يستغلّوا تلك الإمكانات ؛ ذلك لأنّها -كما قلنا- أداة لمشروع، فإذا وقع الخارق للعادة وكان معه تحدٍّ بعدم الإتيان بمثله كان إعجازًا، وإن لم يكن بتحدٍّ فهو كرامة ؛ لهذا قال الخِرسان : ((ويبقى عظيم الفرق بين المعجزة وبين الكرامة هو التحدّي في الأولى دون اشتراطه في الثانية)) [٣].

أمّا السحر فيقرر الخِرسان قراءته له لصلته بوجه من وجوه التأثير على ثبات العادة عند المتلقّين، ويرى -تبعًا للّغويين- أنّه من التمويه بالحيل والتخايل والخداع ؛ أي ((أنْ يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيُخَيّل للمسحور أنّها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد، فيُخَيّل إليه أنّه ماء)) [٤]، وقد نقل عن ابن إدريس الحلي [٥] ، والمعتزلة ،وبعض الشافعية أنْ لا حقيقة للسحر؛ لأنّه خداع لا أصل له، وإنّما هو تخيّل وشعبذة [٦]، وعن

(١) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٦٣.
(٢) م. ن ، ٦٤ .
(٣) م . ن ، ٦٣.
(٤) م. ن ، ٦٩.
(٥) السرائر ، تحقيق السيد محمد مهدي الخِرسان ، ٦ / ٢٦١
(٦) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٧٢.

الطوسي[١] وأبي حنيفة وأصحابه، ومالك والشافعي أنّ له حقيقة وتأثيرًا في الآخرين[٢].

ومهما يكن من أمر، فإنّ الخِرسان -واتّفاقًا مع الجميع- يرى أنّ السحر بالتعلُّم وإعمال الفكر والنظر، وتقديم الأسباب والآلات، ولا حقيقة يقينيّة لوقوعه، وليس له علّة موجبة ولا سبب مؤكّد، ثمّ إنّه لا استقلال له بإيجاد الأثر، ((وإنّما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويُحدِثها عند وجود السحر، كما يخلق الشبع عند الأكل، والريّ عند شرب الماء))[٣]؛ أي أنّ هنالك شفرات كونية -أو بعض الحيل- إذا تعلّمها الساحر وتحكّم بمسيرها التكويني - حصل التغيير المؤقّت، لكن لا على نحو الحتمية، فقد تخطئ وقد تصيب.

إذن: هو تعلُّم وليس أمره كالمعجزة أو الكرامة التي تحصل لصاحبها بمجرّد توجّهه بنفسه الكاملة إلى المبدأ الأعلى (جلّ شأنه) ، فيطلبها منه عند حصول شرائطها فيؤيّده الله سبحانه وتعالى بإظهارها تأييدًا لنبيّه؛ بينما الساحر لا يفلح بسعيه، كما قال تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[٤].

هذا من جهة الوقوع، أمّا من جهة الوظيفة الإجرائية لكلّ من المعجزة والكرامة والسحر ، فهي من أظهر الفوارق الدالة على أنّ المعجزة غايتها الدعوة إلى الله سبحانه للتصديق بنبيه، خلافًا للسحر فهي للفساد والإفساد بالتحايل والتخييل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[٥]، ((ومهما أتقن الساحر صنعته، وقوّى أثره ورفع قوّته، فهو عند المسحور ينتهي بانتهاء الساعة، ويزول أثره عند إبطاله، ولا يبقى زمنًا طويلًا، أمّا المعجزة والكرامة فليستا كذلك، فإنّهما يُبقيان أثرًا في نفوس المؤمنين فيزدادوا إيمانًا، كما قال تعالى مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا

(١) الخلاف ، ٥ / ٣٢٧ .
(٢) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٧٠.
(٣) م. ن ، ٧٣.
(٤) سورة طه ، الآية : ٦٩.
(٥) سورة طه ، الآية : ٦٦.

أَهْوٰاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اِهْتَدَوْا زٰادَهُمْ هُدىً وَ آتٰاهُمْ تَقْوٰاهُمْ﴾[1]))[2].

المبحث الثالث

معجزة شقّ القمر عند السيد الخرسان

في هذا المبحث سيتناول البحث الموقف من معجزة شقّ القمر، فسيظهر موقفين متعارضين بين النفي والإثبات، لكلّ منهما أدلّته، غير أنّه -وبموقع إيمانه بالمعجزة- أثبت الوقع بمنهجية محكمة تنوعت بين الموقف القرآني ، وأقوال المفسرين والمحدّثين والمؤرخين والعلم الحديث، سائرًا في ذلك بخطى ثابتة في قوة الدليل، وعمق البرهان، ووعي الحادثة من شتى نواحيها.

الأول: أدلّة المنكرون لمعجزة شقّ القمر:

تتأرجح أدلّة المنكرين بين تعليلات ثلاثة تتبّعها الخرسان، منها ما هو تابع إلى لغة النص، ومنها إلى أصل خرق العادة وحدوث الإعجاز، ومنها تأويلات لمفكّرين معاصرين، وتفصيلها فيما يأتي:

أولًا: لغة النص، فقد أنكر جماعة وقوع شقّ القمر بمكة في زمن النبيﷺ، وقالوا بإمكان وقوعه يوم القيامة لورود الحديث في سياق اقتراب الساعة، وإنّ الآية ﴿اِقْتَرَبَتِ اَلسّٰاعَةُ وَانْشَقَّ اَلْقَمَرُ﴾ ناظرة إلى المستقبل، وإن جاءت بلفظ الماضي ، فإنّ الانشقاق سيحصل عند قيام الساعة[3].

وهذا الاتجاه يمثله الحسن البصري، وعطاء المكي، ومقاتل بن حيان البلخي، وجميعهم ضعفاء يروون المراسيل والمناكير.

وقد أورد الخرسان في هؤلاء توصيفات المحقّقين الرجاليّين ، ونقّاد الحديث والمترجمين ، بأنّ الحسن البصري مشهور بالتدليس وأنّه يروي المراسيل وأنّه لا يبالي عمّن أخذ حديثه[4]،

(١) سورة محمد ، الآيتان : ١٦-١٧.
(٢) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٨٤.
(٣) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ٣٦-٣٩ ، و ١٣٧.
(٤) التبيين لأسماء المدلّسين ، ٧ .

وأمّا عطاء فضعيف يروي المراسيل ومتروك وفيه من الإرجاء، وفي سَماعه إشكال، وفي رأيه مثل ذلك خصوصًا في الإرجاء الدالّ على فساد معتقده ، وأمّا مقاتل فساقط يروي المناكير، وهو من المجسِّمة[١]، وصّرح الذهبي في ميزان الاعتدال بأضاليله[٢].

وردّ من زعم ((أنّ العطف بالواو يقتضي الترتيب أو التشريك، بمعنى إذا جاءت الساعة سينشق القمر -كما هو المنقول عن الحسن البصري وعطاء والبلخي- وهذا من سخف الرأي، ومرذول القول؛ لأنّ الفعل الماضي دالّ على وقوعٍ في زمان مضى وانقضى، وحمله على الاستقبال مجاز، يفتقر إلى قرينة تنقله عن حقيقته، ودليل يسنده، وليس ذلك موجودًا في ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾))[٣].

وما يلاحظ هاهنا تتبّعه الدقيق حول أحوال الرواة في كتب الرجال والتراجم، هادفًا إلى الوقوف على قيمة ما يرويه الرواة، والمدارس الحديثية التي ينتمون إليها.

ثانيًا: استحالة حدوث الخوارق

ومرجعية هذا الرأي إلى جماعة من شيوخ المعتزلة، كهشام بن عمرو الفوطي، والنظّام، والجاحظ ، فهؤلاء أنكروا وقوع المعجزات بحجة منع حدوث الخوارق سواء أكانت معجزة أم كرامة[٤]، معللين في موضع آخر بأنّ التحدّي وقع فقط على الإتيان بسورة من القرآن وليس مطلق التحدّي؛ ذلك أنّ التحدّي لو وقع على عموم الإعجاز لوجب أن يؤتي ثماره بإيمان من تحدّاهم لا سيما إذا كانوا هم من طلبوا المعجزة، وهذا ما وقع خلافه، فالإسراء والمعراج انتجت تراجعًا عن الإيمان بالنبي ﷺ[٥].

وقد ردّ الخرسان برؤية تراثية ومعرفية موضوعية، فأمّا الرؤية التراثية فقد حكم أهل النقد الحديثي على إبراهيم بن سيّار النظّام (ت٢٣١هـ) -من شيوخ المعتزلة- أنّه متعجّل بالحكم، وأمّا الجاحظ فيقول: لو انشقّ حتى صار بعضه في جبل أبي قبيس لوجب أن يختلف

(١) شرح المواقف في علم الكلام ، الشريف الجرجاني ، ٣/ ٣٨
(٢) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٣٨ .
(٣) م. ن: ١١٦ .
(٤) م . ن ، ١٣٨ .
(٥)م. ن ، ٢٢ -٢٣.

التقويمات؛ لأنّه قد عُلم سَيره في كل يوم وليلة، فلو انشق القمر لكان وقت انشقاقه لا يسير[١]،[٢].

وأمّا الرؤية المعرفية فإنّ الكثير كانوا يستمعون إلى القرآن ولا يؤمنون، مثل: الوليد بن المغيرة، فلم يؤتِ ثماره! وأنّ هنالك معجزات ليست من جنس القرآن وقعت فأوجدت حالة من الإيمان في نفوس من شهدها أو سمع بها ، وقد مرّت مناقشة السيد الخرسان لهذه الادّعاءات في المبحث الأول.

ثالثًا: التأويلية الحديثة :

ويمثلها: طنطاوي جوهري، والشيخ محمد عبده، ومحمد مصطفى المراغي، وسيد قطب، ومدلول رأيها إجمالًا تابع إلى التأويل بالرأي، وتفصيله فيما يأتي:

الأول: التأويل العلمي، فطنطاوي يرى انحلال القمر وانفصاله من الأرض وليس انشقاقه إلى نصفين، وذلك حصل في أثناء تكوين الكون، وليس أنّ قريشًا رأته منشقًّا في زمانها[٣]، متغافلاً عن وحدة السياق في الآية التالية التي تصف حال المكذّبين: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، وهو سياق وحدة موضوعية غير قابل للإنكار، ثمّ إنّه ((لم ينقل عن أحد أنّه قال بانشقاق القمر عن الأرض سحر مستمرّ، وفات على فضيلة الشيخ أنّ لفظ (آية) نكرة في سياق الشرط يفيد العموم، بمعنى أنّهم كلما رأوا آية قالوا: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾))[٤].

الثاني: التأويل استنادًا إلى الآراء الشاذّة : يرى المراغي أنّه أخبر بالانشقاق مستقبلًا، وهو علامة لقرب الساعة ، وأنّه لو حصل لرآه عامة الناس إلى حدّ لا ينكر، وأنّه لم يَدَّعِ أحدٌ تواتر خبر الانشقاق بل هو آحاد[٥]، وهذا الرأي مزيج من آراء اللغوين والمعتزلة، وقد أشبعه الخرسان ردًّا ونقضًا في المبحث الأول، فلا حاجة لتكراره، لكنّه يضيف قائلًا :

(١) الأزمنة والأمكنة ، المرزوقي ، ١ / ١١٥ .
(٢) ظ: مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٤٠.
(٣) ظ: تفسير الجواهر ، ٢/ ٢٦٦ .
(٤) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٥٨.
(٥) ظ: تفسير المراغي ، ٢ / ٧٧.

(إنّ كثيرًا من الأحداث الهائلة مرّت في الدنيا ولم يتناقلها جميع أهل الأرض، كطوفان سيدنا نوح عليه السلام ومع طول مكثه ستة أشهر أو أقل، ومع ذلك فقد أنكره الفرس والصينيون وكثير من الشعوب الشرقية، بينما تناقله الغربيون لا سيما بعد التنقيبات الحديثة، وأيضًا وقوف الشمس ليوشع بن نون وصي موسى (عليهما السلام) في حربه ضد (الآموريين)، فهذه الحادثة الهائلة العالمية أيضًا لم يتناولها المؤرخون، ولولا الكتب المقدسة لضاع خبرها)[١]، وأمّا الخبر فهو مشهور حدّ الاستفاضة، فلماذا يصف هذه الشهرة بالآحاد؟!

وقد وصف الخرسان أنّ تفسيراتهم هي أهواء وتفسير بالرأي، و((من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار))[٢]، وهو بالإجماع تفسير مذموم استنادًا إلى طائفة من الروايات والآيات؛ لأنّ الرأي مُبتَنٍّ على اعتقاد النفس عن غلبة الظن[٣]، وأنّ الباعث الأساسي للتفسير هو الانطباع الشخصي لا معرفة مراد القرآن، ذلك أنّ ((المنهيّ عنه إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن ، واعتماد المفسّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه))[٤] ؛ لذلك لا تُعدّ تفسيرات أمثال الطنطاوي والمراغي في هذا النص من المناهج المعتمدة في التفسير، وإنّ الآراء التي يخرجون بها إنّما تمثّل ظنّهم وانطباعاتهم وإسقاطاتهم، فهم يذهبون إلى هذا الرأي قبل الرجوع إلى القرائن التفسيرية الواردة في شأن النص.

الثاني: أدلّة إثبات معجزة انشقاق القمر:

يعرض السيد الخرسان مجموعة من الأدلّة بحسب منهجه الاستقرائي في إثبات الموضوع، وهنا يتناول إثبات معجزة شقّ القمر من محاور أربعة تناولها المفسرون والمحدّثون، والمتكلمون والمؤرخون، ويمكن استخلاص ما تناولوه بالآتي:

(١) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٦١.
(٢) البرهان ، البحراني ، ١/ ١٦
(٣) التحقيق في كلمات القران الكريم ، مصطفوي ، ٤/ ١٤
(٤) الميزان ، الطبطبائي ، ٣/ ٧٧

أدلّة المفسّرين:

وقد دأب -كما هو منهجه في استيعاب الموضوع من شتى وجوهه الممكنة -، على تنوّع آراء المفسرين بما يمثّل وجهة نظر كل فرقة، وقد نبّه إلى مسالة خطيرة في نتائج التفسير بالرأي والحذر منه، بأنّ بعض مآلاته أوصلت بعضهم إلى الخروج عن قواعد اللغة الثابتة، وبيان ذلك بالآتي:

الأول: السياق اللغوي: -وهو رأي الشيخ الطوسي- إنّ كلمة (انشقّ) تفيد التحقّق بالماضي، وحملها على المستقبل مجازًا لا يُعدَلُ إليه إلّا بعد إيفاء دلالة الماضي أو انسداد غرضها، وذهب إلى هذا الرأي طائفة من المفسرين، ((وقد أجمع المسلمون عليه، ولا يعتدّ بخلاف من خالف فيه لشذوذه ؛ لأنّ القول به اشتهر بين الصحابة فلم ينكره أحد، فدلّ على صحّته وأنّهم أجمعوا عليه، فخلاف من خالف فيما بعدُ لا يُلتفت إليه))[١].

الثاني: النقل الثابت المشهور، وقال به الطبري في تفسيره جامع البيان راويًا عن طائفة من الصحابة والتابعين، أنّ الانشقاق حصل في مكة قبل الهجرة، وهو معجزة على صدق دعوى النبي ﷺ، وحصوله بمعنى دلالته على الوقوع في الماضي، مستنكرًا حمله على الاستقبال مجازًا[٢].

الثالث: إجماع المفسرين والنقل المشهود، وهو ما قاله الفخر الرازي الشافعي في تفسيره الكبير[٣]: إنّ المراد انشقّ وحصل، واستبعد حمله على أنّه سينشق[٤].

الرابع: التفسير الموضوعي والدليل العقلي: وهو المنهج الإثباتي الذي عمل به السيد الطباطبائي في حمل الدلالات على الدلالات ليتولد من الدليل الدليل، (قال المرحوم السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: كلام فيه إجمال القول في شقّ القمر: آية شق القمر بيد النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة باقتراح من المشركين ممّا تسلّمها المسلمون بلا ارتياب منهم.

(١) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٤٩ ، التبيان ، ٩/ ٤٤٣
(٢) ظ: جامع البيان ، الطبري ، ٨ / ٢٧ .
(٣) مفاتيح الغيب ، ٨/ ٢٩
(٤) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٥١ .

ويدلّ عليها من القرآن الكريم دلالة ظاهرة قوله تعالى: ﴿ اِقْتَرَبَتِ اَلسّاعَةُ وَانْشَقَّ اَلْقَمَرُ ۝١ وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[1]، فالآية الثانية تأبى إلاّ أن يكون مدلول قوله: ﴿وَانْشَقَّ اَلْقَمَرُ﴾ آية واقعة قريبة من زمان النزول أعرض عنها المشركون كسائر الآيات التي أعرضوا عنها وقالوا سحر مستمر، ويدلّ عليها من الحديث روايات مستفيضة متكاثرة رواها الفريقان وتسلّمها المحدّثون، وقد تقدّمت نماذج منها في البحث الروائي...، وقال: ومن الاعتراض عليها ما قيل: إنّ الانشقاق لا يقع إلّا ببطلان التجاذب بين الشقّين وحينئذٍ يستحيل الالتيام، فلو كان منشقًا لم يلتئم أبدًا.

والجواب عنه أنّ الاستحالة العقلية ممنوعة، والاستحالة العادية بمعنى اختراق العادة لو منعت عن الالتيام بعد الانشقاق، لمنعت أولًا عن الانشقاق بعد الالتيام ولم تمنع، وأصل الكلام مبني على جواز خرق العادة[2])[3]، والمستحيل عرفًا تابع إلى محدودية قدرة الناس، فهو بحدود المعروف من قدرتهم يكون مستحيلًا لا بحدود القدرة المحرِّكة للكون.

أدلّة المحدّثين: يُثبت السيد الخرسان معجزة شقّ القمر في زمن النبي قبل الهجرة من طرق متنوعة في قوة السند ورجاله، وإثبات الرواية بالطرق المستفيضة والمشهورة، وبألفاظ صريحة دالّة على حصول الانشقاق وتحقّقه بلا تمحّل أو تاويل، وقد سلك في هذا طريقين:

الأول: الروايات وأسانيدها، فأوردها عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وغيرهم.

الثاني: أقوال المحدّثين في الإثبات، مُورِدًا كلاماً للحافظ ابن حجر في فتح الباري، وابن عبد البر، والخطابي، والصالحي الشامي، والبيهقي[4].

أدلّة المتكلمين :

لا يتوسع الخرسان في إثبات المعجزة كثيرًا هنا،إلّا أنّه تبعًا لمنهجه الاستقرائي يحتجّ

(١) سورة القمر ، الآيتان : ١-٢.
(٢)الميزان ، ١٩/ ٥٩
(٣) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٥٦.
(٤) م. ن ، ١٦٤-١٧٤

بأبرز المتكلمين من الطوائف الإسلامية، كما يأتي:

المعتزلة: فبعد إيراد الحادثة التاريخية المشهورة في إعجاز شقّ القمر، وأنّ النظّام المعتزلي لم يثبت الخرق -يقول القاضي عبد الجبار " إنّا نعلمه بدلالة احتجاج النبي على المشركين، ولم يكن يحتجّ بما لم يقع أو لا حاجة فيه، وهو أشدّ حرصًا بالناس على تصديقه ، ثم يردّ مقولة النظّام (﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ فجاء بأمر قد كان وانقضى فنسق على الماضي بالماضي، ولو كان على ما ظنّ النظّام لقال: اقتربت الساعة وانشقاق القمر، أو كان يقول: وسينشقّ القمر، فلمّا لم يقل ذلك وقال: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، علمت أنّه أخبر عن شيئين واقعين قد وقعا، وكانا ، وحصلا.

ثم قال على نسق الكلام: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ فأخبر أنّها آية مرئيّة وحجّة ثابتة، ثم قال على نسق الكلام: ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ﴾، وهذا لا يُقال فيما لم يقع ولم يكن[1]" [2].

ولو انحصر وقوع الانشقاق بيوم القيامة لَما كان حجّة على المكلّفين، وعلى أقلّ تقدير جوّز القاضي عبد الجبار وقوع الخرق بالآحاد[3].

الأشاعرة: ويرى البغدادي (ت٤٢٩هـ) أنّه لو لم يقع الخرق والانشقاق لقال أعداؤه متى كان هذا[4][5]؟ فيما يرى العضد الآيجي ت: ٧٥٦ هـ -كما في شرح المواقف للشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) [6][7]- أنّ معجزة انشقاق القمر متواترة.

الإمامية: ومن الإمامية الاثني عشرية: العلّامة الحلّيّ (المتوفّى سنة ٧٦٢هـ) قال -في كتابه كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للمحقق الخواجة نصير الدين الطوسي :

(١) تثبيت دلائل النبوة ، ٥٥ .
(٢) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٧٦ .
(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن ، ٣٣٦
(٤) أُصول الدين ، ١٨٢
(٥) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٧٩ .
(٦) شرح المواقف ، الشريف الجرجاني ، ٨ / ٢٨١ .
(٧) مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، ١٧٩ .

((ونعني بالمعجزة ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى؛ لأنّ الثبوت والنفي سواء في الإعجاز، فإنّه لا فرق بين قلب العصا حيّةً، وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء، وشرطنا خرق العادة؛ لأنّ فعل المعتاد أو نفيه لا يدلّ على الصدق... أمّا ظهور المعجزة على يده فلوجهين الأول: أنّ القرآن معجزة...، الثاني: أنّه نقل عنه معجزات كثيرة كنبوع الماء من بين أصابعه ﷺ حتى اكتفى الخلق الكثير من الماء القليل بعد رجوعه من غزوة تبوك... وانشق له القمر...))[1].

أدلّة المؤرخين:

ويبحث السيد الخرسان ثبوت معجزة شقّ القمر وخرق العادة بحسب أهل الاختصاص المعنيّ بهذا الشأن، وهم أهل السيرة النبوية الذين أثبتوا أنّ معاجز النبي ﷺ غير القرآن كثيرة ولا يمكن حصرها ، واختصارًا للمطلوب احتجّ الخرسان بطائفة من نصوص المؤرخين في انشقاق القمر، فهو يثبت الواقعة الإعجازية بالاستقراء، فنقل عن النووي في السيرة النبوية، وابن كثير في سيرته، والقاضي عيّاض في الشفا، وابن الجوزي وبرهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية، والصالحي الشامي في سبيل الهدى والرشاد، وغيرهم[2].

تقنيّات العلم الحديث في انشقاق القمر:

أورد الخرسان في نهاية الفصل نصًّا لوكالة ناسا الفضائية، ووثقه بمجموعة من الصور التي التقطت لسطح القمر وقد بدا الخطّ المتّصل الذي يدور حول القمر واضحًا [3]، وهذا الأمر يشير بوضوح إلى وقوع شقّ في القمر كان قد حصل في الماضي وبقي أثره إلى الآن.

نتائج البحث :

لعلّ أبرز ما رصده البحث في الاجراءات البحثية للسيد محمد مهدي الخِرسان في بحثه للإعجاز القرآني هو الأبعاد المنهجيّة التي تمظهرت على أنحاءٍ منها :

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، ٢٢١/ ٢٢٢
(٢) مزيل اللبس ، ١٨٣-١٩٣
(٣) م . ن ، ١٩٥ وما بعده.

منهجية معرفية : تناول فيها الإعجاز بهيئة موضوعية رصينة استبعد فيها التداخل والاستطراد ، وأحال الفروع الى كلياتها ، كما هو في تقسيم المعجزة الى حسية وعقلية ليحيل -ضمنا- عليها الدائميّة والوقتيّة .

الاستقراء والاستيعاب : فهو التمظهر المنهجي الآخر في التهيئة للموضوعات بمقدمات استقرائيّة لاستيعابه ، وحجج برهانيّة لتأطير الموضوع بإثباتات من جهاته الممكنة .

الاستدلال بآراء الخصوم لتوكيد الدليل ؛ والاستقراء الموسع للآراء النافية، والمثبتة ، والإحاطة بما يستوعب التصورات الممكنة التي تسهم في تقبّل وتعقّل الموضوع ، والإفادة من العلوم الحديثة وتقنيات العلم الحديث لغرض الوصول إلى الإمكان العلمي لشقّ القمر، ووقوع الإعجاز.

تأسيس المعياريات العلمية من المنظومة الفكرية للآخر المختلف؛ لاعتمادها في المحاججة والمحاكمة ورد الشبهة .

الدقة في تحديد مفهوم (العادة) التي يمكن أن تتغير ويقيم النبيﷺ بخرقها المعجز ، وقد أبدع في إيجاد ضابطة أساسيّة للعادة : في أنّها لا تشمل عامّة البشر بصفاتها المشتركة ، وإنّما تختصّ بالأمة المرسَل إليها الرسول ، فالعادة عنده تدور مدار حدود الإرسال وحدود دعوة النبي ، سواء أكانت ﷺ عالميّة أم محدودة ، وهي رؤية معرفيّة لحدّ العادة .

أدب الحوار العلميّ كان الشاخص المعرفي البادي على طرحه ، وردّه ونتائجه ، بلا تجريح أو تهجم بلا موضوعيّة ، بل أحيانًا يفتش عن المسوّغ للطرف المختلف معه ، مثل وجود مؤثرات خارجية كالشبهة الذهنية التي تحيل دون رؤية الحق .

جريًا على تقرير الفلاسفة في تحديد ماهية خرق العادة ، فقد أحالها إلى أسباب تهيمن على سريان العادة غير تلك المعروفة والظاهرة لعامة الناس ، فيؤثر السبب الخفي وعلل التحكم بالمسَبّب ويستجيب المسَبّب لقوة تسلط السبَب والعلة المؤثرة ، وينقاد إليه في شتى وأنحاء ما يريد .

يعيّن الخرسان الوسائل التي تحقق خرق العادة ، فقد حددها بالأمر الإلهي أو بالدعاء ، أو علم النبي بعلل الموجودات مشفوعاً بالإذن الإلهي لتحقيق الخرق من قبل النبي ، وهو هنا يوافق الفلاسفة مثل ابن سينا ، والعضد الآيجي ، والعلامة الطباطبائي في كيفية تصرف نفوس الأنبياء ﷺ بالموجودات في إقامة المعجز وخرق العادة .

المحاكمة بالأسس المقومة للإعجاز ، فبوساطة معيار التحدي وهو أساس قوام الاعجاز أثبت موضوع حادثة شق القمر ؛ لأن التحدي مستمر ، فلو لم يك صادقًا لأختل معيار التحدي ، فهو حاكم التاريخ وأثبت صحة وقوع الحادثة بوساطة فاعلية ودوام حضور التحدي في الاتيان بمثله ، ولما لم يك ذلك فقد كان النبي صادقا في إلهية دعواه .

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم
٢. الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، الشافعي (ت،٩١١هـ) ، ط ٢ ، تحقيق ، محمد سالم هاشم ، إيران ، منشورات ذوي القربى ، قم ، ١٣٨٧ – ١٤٢٩
٣. الأزمنة والأمكنة ، المرزوقي ، ط ، الهند ، حيدر آباد ، ١٣٣٢ هـ
٤. الإشارات والتنبيهات ، ابن سينا ، ابو الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨ هـ) ، ط١ ، شرح ، نصير الدين الطوسي . إيران ، البلاغة ، قم ، ١٣٨٣ ش .
٥. أُصول الدين ، البغدادي ، عبد القاهر ، ط١ ، استانبول ، ١٣٤٦ هـ .
٦. بحار الأنوار ، المجلسي ، محمد باقر (ت،١١١١هـ) ، ط٢ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣
٧. البرهان في تفسير القرآن ، البحراني ، هاشم (ت ، ١١٠٧ هـ) ، ط١ ، تحقيق، مؤسسة البعثة ، إيران ، قسم الدراسات الاسلامية / مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٦هـ .

٨. البيان في تفسير القرآن ، الخوئي ، ابو القاسم (ت،١٤١٣هـ) ، ط١ ، إيران ، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي،قم
٩. التبيين لأسماء المدلّسين ، سبط ابن العجمي ، ط١، سوريا ، حلب ، ١٣٥٠ هـ
١٠. تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار المعتزلي ، تحقيق، الدكتور عبد الكريم عثمان ،ط١، بيروت ، دار العربية ، ١٣٨٦ هـ .
١١. التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، المصطفوي ، حسن ، ط ١ ، طهران ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ١٤١٧هـ
١٢. تفسير التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ابن عاشور التونسي ، محمد بن الطاهر (ت ، ١٣٩٣هـ) ، تونس، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ هـ .
١٣. تفسير الجواهر ، طنطاوي جوهري ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م
١٤. تفسير المراغي ، المراغي ، أحمد بن مصطفى (ت ، ١٣٧١) ، ط ١ ، ١٤٦٥ -١٩٤٦ ، عدد الأجزاء ، ٣٠ ،
١٥. تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ،الرازي ، فخر الدين ، ط٣ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠ .
١٦. تنزيه القرآن عن المطاعن ، القاضي، عبد الجبار المعتزلي (ت٤١٥) ، ط١ ، تحقيق، د،أحمد عبد الرحيم السايح و المستشار توفيق علي وهبة ، مصر ، مكتبة النافذة ، الجيزة ، ٢٠٠٦
١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، محمد بن جرير(٣١٠هـ) ، ط ١ ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠ -٢٠٠٠ ، عدد الأجزاء ، ٢٤
١٨. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت،٦٧١)، ط ٢ ، تحقيق ، أحمد البردوني - ابراهيم اطفيش ، القاهرة ، دار الكتب

المصرية ، ١٣٨٤ - ١٩٦٤ ، عدد الأجزاء ، ٢٠

١٩. حياة محمد ، هيكل ، محمد حسين ، القاهرة ، دار الهدى .

٢٠. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، إخوان الصفاء ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٧٦ - ١٩٧٥ .

٢١. رسائل الكندى الفلسفية ، الكندي (٢٥٠) ، تحقيق ، از محمد أبو ريده ، القاهرة، دار الفكر العربي

٢٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ، محمود الحسيني الألوسي (ت، ١٢٧٠هـ) ، ط١، تحقيق ، علي عبد الباري عطية . بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ .

٢٣. شرح العقيدة الطحاوية ابن ابي العز ، الحنفي ، (ت٧٩٢هـ) ، ط٤ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩١ .

٢٤. شرح المصطلحات الفلسفية ، مجمع البحوث الاسلامية مشهد ، ط ١، إيران ، مؤسسة النشر في الأستانة الرضوية المقدسة ، ١٤١٤ هـ

٢٥. شرح المواقف في علم الكلام ، الجرجاني ، الشريف علي بن محمد ، (ت، ٨١٦هـ)، ط افست دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦. شرح صحيح مسلم ، النووي (ت ، ٦٧٦هـ (، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧ -١٩٨٧

٢٧. طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي ، عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى، ٧٧١هـ)، ط ٢ ، تحقيق ، محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح محمد الحلو ، مصر، هجر، الجيزة ، ١٤١٣ ، عدد الأجزاء ، ١٠

٢٨. الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ترجمة ، عبد الصبور شاهين ، ط٣، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٦٨

٢٩. علوم القرآن ، الحكيم ، محمد باقر ، ط٥ ، إيران ، مؤسسة الفكر الإسلامي ، قم

٣٠. علي إمام البررة ، الخوئي ، أبو القاسم ، شرح السيد محمد مهدي الخرسان ، ط١ ، بيروت ، دار الهادي ، ١٤٢٤هـ .

٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، أحمد بن علي ، العسقلاني (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) ، ط٢، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩ ، عدد الأجزاء، ١٣ .

٣٢. الفرق بين المعجزة والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات ، الباقلاني، ط١ ، جامعة الحكمة ، بغداد .

٣٣. فقه السيرة ، الغزالي ، محمد بن محمد الطوسي (ت ،٥٠٥)، ط ١ ، تحقيق ، السقا، تخريج الأحاديث ، محمد الألباني ، دمشق ، دار القلم ،١٤٢٧

٣٤. الكافي ، الكليني محمد بن يعقوب (ت ، ٣٢٩ هـ) ، ط ٥ ، تحقيق ، علي أكبر الغفاري ، طهران ، دار الكتب الإسلامية ، ١٣٦٣

٣٥. كتاب الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر .

٣٦. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة) (ت ، ٧٢٦ هـ) ، ط ٥ ، تحقيق ، جعفر السبحاني . إيران ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم ، ١٤٣٤هـ .

٣٧. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، السفاريني ، أبو العون محمد الحنبلي (ت ، ١١٨٨هـ) ، ، ط ٢ ، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ ، عدد الأجزاء ، ٢

٣٨. المبدأ والمعاد ، الشيرازي ، (ملا صدرا) صدر الدين محمد ، ط٣ ، تحقيق ، جلال الدين الإشتياني ، إيران ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، قم،١٤٢٢ - ١٣٨٠

٣٩. مدخل التفسير ، اللنكراني ، محمد فاضل ، تح ، مركز فقه الأئمة الأطهار ، ط٤، ايران ، قم ، ١٤٢٨هـ

٤٠. مزيل اللّبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس ، الخِرسان ، محمد مهدي ، ط١، ايران ، قم ، دليل ما ، ١٤٢٩هـ .
٤١. المصطلح الفلسفي عند العرب ، الاعسم ، عبد الأمير، (تحقيق عدة رسائل قديمة في المنطق والفلسفة) . . ط٢ . القاهرة ، الهيئة المصرية ،١٩٨٩ م
٤٢. مصطلحات علم المنطق عند العرب ، مجموعة مؤلفين (د ، فريد جبر ، د ، رفيق العجم ، د، سميح دغيم ، د، جيرار جهامي)، ط١ ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦ .
٤٣. معجم المصطلحات العلمية (للكندي والفارابي والخوارزمي وابن سينا والغزالي)، الداية ، فايز، ط١، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٠-١٩٩٠ .
٤٤. معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، احمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت، ٣٩٥هـ)، ط١ ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون . بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٥. الملل والنحل ، الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم ، تحقيق ، محمد سيد كيلاني، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٤ ، عدد الأجزاء ، ٢
٤٦. مناقب ابن شهرآشوب ، ابن شهراشوب السروي ، ط١، المطبعة الحيدرية ، ١٣١٦هـ .
٤٧. المواقف ، الآيجي ، عضد الدين عبد الرحمن ، ط١ ، تحقيق ، د.عبد الرحمن عميرة، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٧.
٤٨. الميزان في تفسير القران ، الطباطبائي ، محمد حسين (ت ، ١٤٠٢هـ) ، إيران ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم
٤٩. نظرات معاصرة في القرآن الكريم ، الصغير ، محمد حسين (الدكتور) ، ط٢، بيروت ، دار الحكمة ، ٢٠١٨ .